الشيعة

وسقوط بغداد

إعداد

عبد الله الويباري

مقدمة[1]

الباب الأول : نكبة بغداد

الباب الثانيٌ : التعريف بالوزيرين:

١- نصر الدين الطوسي:

أ- تعريف .

ب- مكانته لدى هولاكو .

ج- منزلته عند الإمامية .

٢- ابن العلقمي :

أ- تعريف .

ب- مكانته لدى الخليفة .

ج- منزلته عند الإمامية .

٣- هل هناك علاقة بين الرجلين ؟

الباب الثالث : المذهب الإمامي وأثره في هذه الحادثة :

أ- مقدمة .

ب- نشأة المذهب الشيعي

ج- عقائد شيعية لها ارتباط بهذا الحدث

١- تكفيرهم لأهل السنة

٢- إباحة دماء أهل السنة .

٣- إباحة أموال أهل السنة .

٤- نجاسة أهل السنة عندهم .

---

(١) كتب هذا البحث قبل الاحتلال الأمريكي للعراق وبداية النفوذ الشيعي ببركة الاحتلال ومع هذا لم تتم إضافة شواهد هذه المرحلة والتي تتشابه في نتائجها مع الغزو المغولي وما ترتب عليه للشيعة من نفوذ وسيادة .

٥- حكم العمل عند أهل السنة .

*علي بن يقطين

٦- التقية عند الأمامية .

الباب الرابع : الإتهامات الموجهة للطوسي وابن العلقمي ومناقشتها:

أ- نصير الدين الطوسي .

ب- مؤيد الدين العلقمي .

الباب الخامس : أحوال الشيعة وموقفهم إبان الغزو المغولي لبغداد .

الخاتمة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين مقلب الليل والنهار و مديل الأيام ومزيل الدول والصلاة والسلام على خيرته من خلقه و مصطفاه و مجتباه وعلى آله وصحابته ومن سار على منهجهم إلى يوم الدين أما بعد

فلقد دأب العلماء و المفكرين و الساسة على دراسة التاريخ و أحداثه دراسة تفصيلية وما كان هذا منهم تسلية للنفس وقطع للعمر بما لا فائدة فيه بل كان هذا منهم استشعاراً لما للتاريخ من أهمية

وقد قيل:

اقرؤوا التاريخ إذ فيه العبر ضل قوم ليس يدرون الخبر

ولهذا يظهر فإن التاريخ مدرسة يستفيد منها الجميع وأهم ما فيه أنه يجلى صورة الواقع ويعطى تصوراً مهماً لما قد يحدث في المستقبل .

ومن هذا المنطلق سنقوم بإذن الله بدراسة لحدث مهم من أحداث التاريخ الإسلامي وهو سقوط بغداد في يد المغول .

إن أسباب هذا السقوط الرهيب عديدة ومتنوعة تحتاج إلى دراسة موسعة للاستفادة تاريخيا منها وفي هذا البحث أحببت أن أتناول سبباً من هذه الأسباب وهو : شخصيتان كان لهما دوراً لا ينكر في أحداث هذه النكبة وهما نصير الدين الطوسي وزير هولاكو و محمد بن العلقمي وزير الخليفة ومدى تأثير مذهبهما العقدي " المذهب الاثنى عشري الشيعي" في هذا الحدث و من العجائب أن يكون وزيرا الدولتين المتحاربتين من مذهب واحد مع اختلاف مذهب الدولتين عن الوزيرين فالمغول كانوا وثنيين و الخليفة كان مسلماً سنياً .

و أما عن السبب الذي يدفعني لهذا الدراسة فهو الأسلوب الجديد الذي اتبعته الحكومة الشيعية في إيران بعد الثورة الخمينية

حيث أن هذه الثورة عند قيامها اتجهت إلى منحى عدائي ظاهر تجاه السنة ، وتبنت ما يسمى بتصدير الثورة ولكنها بعد أن ظهر لها عجزها عن تغيير أوضاع الشيعة في العالم العربي و خاصة دول الخليج العربي غيرت سياستها إلي التغلغل في الحكومات عن طريق خطه مدروسة أو ما يسمى [الخطة السرية] علما أن هذه الخطة لم تظهر بشكل رسمي إلا أن واقعهم اليوم يشهد بهذا التغيير حيث نجدهم – المعارضة الشيعية في دول الخليج مثلاً – قد صالحوا الدول التي كانوا يعادونها وأصبحوا يشاركون في المحافل و الصحف ويظهرون الحرص على الوحدة الوطنية والحرية و غير هذا ونحن أحرص منهم على الوحدة ونتمنى أن لو كانوا صادقين ولكن التاريخ وأصول المذهب الشيعي توجب علينا وعلى حكامنا الحذر من مكرهم .

فلهذا الأسباب أحببت دراسة هذا الحدث ودور هاتين الشخصيتين فيه وارتباط دورهما بأصول المذهب الشيعي نصحا للأمة ولولاة الأمر

فنقول والله المستعان

الباب الأول

نكبة بغداد وسقوط الخلافة

لم يكن سقوط بغداد على يد المغول سقوط مدينة كبيرة أو سقوط عاصمة أو قاعدة دولة فقط ، بل كان سقوطا لرمز طالما اعتز به المسلمين وطالما كان ملاذاً للطريد و الشريد . كانت مركز إشعاع سياسي وثقافي و حضاري فكان سقوطها سقوطاً لمرجعية يستمد منها الكثير من حكام العالم الإسلامي الشرعية لحكمهم منها حتى في أوقات ضعفها وذلك لمكانتها الروحية و الشرعية فمع أنها – الخلافة العباسية – فقدت السيطرة الفعلية على أغلب المناطق الإسلامية – منذ أمد بعيد – إلا أن اسم الخليفة كان يسبق اسم الحاكم في خطبة الجمعة في المناطق التي لا تخضع لحكمها المباشر .

كل هذا جعل من سقوط بغداد حدثاً مؤثراً على النواحي السياسية و الثقافية و الشرعية من حياة المسلمين وخاصة فقد الخلافة حتى بصورتها الضعيفة و الذي كان يعطي شعوراً بالوحدة الفكرية و الوحدة الشرعية .

ومما يهولك عند قراءتك لسقوط بغداد بالإضافة للجانب السابق الأحداث الدامية والتي قل أن يشهد التاريخ بمثلها ولذا فجع المؤرخون و العلماء لهول لهذه الحدث فكانت كلماتهم خير تعبير عن هذه المأساة ومن ذلك

قول تقي الدين السبكي [1]: [..... سنة ست وخمسين وستمائة وهي السنة المصيبة بأعظم المصائب ، المحيطة بما فعلت من المعائب ، المقتحمة أعظم الجرائم الواثبة على أقبح العظائم ، الفاعلة بالمسلمين كل قبيح وعار ، النازلة عليهم بالكفار المسمين بالتتار .

---

(١) الطبقات الكبرى : ٢٦١/٨ .

ولا بأس بشرح واقعة التتار على الاختصار ، وحكاية كائنة بغداد لتعتبر بها البصائر ، وتشخص عندها الأبصار ، ويُجري المسلمين على ممر الزمان دموعهم دما ، و ليدري المؤرخين بأنهم ما سمعوا بمثلها واقعة جعلت السماء أرضا و الأرض سماء] .

وقال أيضا[1]: [ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمائة : ذات الداهية الدهياء و المصيبة الصماء] .

وقال ابن كثير[2] : [ما وقع من الأمر الفظيع الذي لم يؤرخ أبشع منه منذ بنيت بغداد] أهـ .

يقول اليونيني في [3]: [وما دهى الإسلام بداهية اعظم من هذه الداهية ولا أفضع] أهـ .

وقد تبارى الشعراء في وصف الفجيعة كيف لا وهم أكثر الناس تأثراً و إحساسا بالأحداث حتى أن محمد التو نجي[4]يقول : [فلا عجب إذا رأينا الشعراء و الأدباء يولون بغداد بعظيم عواطفهم وتقديرهم اكثر من غيرها بل كانت عاطفة الشعراء في رثائها أعمق من عاطفتهم حين انتصر المسلمين في عين جالوت بعد سنتين].

ومن شعرهم

ما ذكر ابن الفوطي في كتاب الحوادث الجامعة[5]حيث قال [ولقد قال الشعراء في واقعة بغداد أشعاراً كثيرة منها ما قاله شمس الدين محمد بن عبيد الله الكوفي الواعظ

بانو ولي أدمع في الخد تشتبك ...ولوعة في مجال الصدر تعترك

يا نكبةما نجا من صرفها أحد من الورى فاستوى المملوك و الملك

---

(١) الطبقات الكبرى : ٢٦٩/٨ .

(٢) البداية و النهاية ٢١٤/١٣ .

(٣) ذيل مرآة الزمان ٨٥/١ .

(٤) بلاد الشام إبان الغزو المغولي ص١١٢ .

(٥) ص٣٦٣ .

تمكنت بعدعز من أحبتنا أيدي الأعادي فما أبقوا ولا تركوا

لو أن ما نالهم يفدى فديتهم بمهجتي وبما أصبحت امتلك

رَبْع الهداية أضحى بعد بُعدهم معطلاً ودم الإسلام منسفك

أين الذين على كل الورى حكموا أين الذين اقتنوا أين الأُولى ملكوا

وقفت من بعدهم في الدار أسألها عنهم وعمّا حووا فيها وما ملكوا

أجابني الطلل البالي وربعهم الـ خالي : نعم هاهنا كانوا وقد هلكوا

لا تحسبوا الدمع ماء في الخدود جرى وإنما هي روح الصَّب تنسكب

وقد قال تقي الدين إسماعيل بن أبي اليسر:

لسائل الدمع عن بغداد أخبار فما وقوفك و الأحباب قد ساروا

يا زائرين إلى الزوراء لا تغدوا فما بذاك الحمى والدار ديار

تاج الخلافة والربع الذي شرفت به العالم قد عفاه اقفار

أضحى يعصف البلى في ربعه أثر وللدموع على الآثار آثار

يا نار قلبي نار الحرب **وغى** شبت عليه ووافى الربع إعصار

علا الصليب على أعلى منابرها وقام بالأمر من يحويه زنار

وكم حريم سبته الترك غاصبة وكان من دون ذاك الستر ...نار

وكم بدور على البدرية انخسفت ولم يعدوا لبدور منه أبدار

وكم ذخائر أضحت وهي شائعت من النهاب وقد حازته كفار

وكم حدود أقيمت من سيوفهم على الرقاب وحطت فيه أوزار

ناديت والسبي هتوك **تجزلهم** إلى السفاح من الأعداء دعار

ومصاب الأمة بسقوط بغداد لم يكن مصابا في مقتل واحد بل فجائعها متعددة الصور والجوانب ومنها

١ – مصاب الدين :

من أعظم ما قد يصاب الفرد فيه والدول والأمم هو مصابها في دينها وفي المبدأ الذي قامت عليه وقد هزمت بغداد قبل هذا الحدث ولكن كانت هزائم عسكرية سياسية فلم تتغير النواحي الدينية أما في هذه المرة فقد حكمت بغداد بحكم وحاكم وثني

وفي هذا يقول السبكي [1]: [هذه بغداد لم تكن دار كفر قط ، جرى عليها هذا الذي لم يقع منذ قامت الدنيا مثله ، وقتل الخليفة ، وكان وقع في الدنيا أعظم منه إلا أنه أضيفت له هوان الدين والبلاء الذي يختص بل عم سائر المسلمين ...] .

٢ – مقتل الخليفة (وما جرى له من الإهانة) .

الخليفة كما سبق هو رمز للأمة رمز للوحدة الدينية والسياسية ، وتسلط هؤلاء البربر عليه فيه هزة لهذا المقام الرفيع في الحضارة الإسلامية وأن كان هذا المقام قد اهتزت صورته منذ فترة لكن أن يكون هذا على يد عدو خارجي فإن هذا يمثل هزيمة لجميع المسلمين أما السابق فكان انتصار لبعض المسلمين على بعضهم ، ولكن هذه المرة أزيلت الخلافة واختفت كليا فلم يصبح للمسلمين خليفة

و أما عما جرى للخليفة على يد هؤلاء فيقول الهمذاني [2] [وبعد خراب البصرة خرج ومعه أبناؤه الثلاثة ... وكان ذلك يوم الأحد الرابع من صفر سنة ٦٥٦... وكان معه ثلاثة آلاف من السادات و الأئمة والقضاة والأكابر و أعيان المدينة ...] .

---

(١) في الطبقات (٢٧٢/٨) .

(٢) جمع التواريخ ص ٢٩٠ وهو من رجال المغول .

ويقول ابن كثير [1]: [وأحضر الخليفة بين يدي هولاكو فسأله عن أشياء كثيرة فيقال إنه اضطرب كلام الخليفة من هول ما رأى من الإهانة والجبروت] .

قال السبكي [2] : [فأنزل الخليفة في خيمة] . قال الهمذاني [3]: [وفي يوم الجمعة التاسع من صفر دخل هولاكو خان المدينة لمشاهدة قصر الخليفة ، وجلس في الميمنة ، واحتفل بالأمراء . ثم أشار بإحضار الخليفة - ذكر السبكي [4] أنه قيل : طلبه ليلاً – وقال له : إنك مضيف ونحن ضيوف فهيا أحضر ما يليق بنا ، فظن الخليفة أن هذا الكلام على سبيل الحقيقة ، وكان يرتعد من الخوف ، وبلغ من دهشته أنه لم يعد يعرف مكان مفاتيح الخزائن فأمر بكسر عدة أقفال ، وأحضر لهولاكو ألفي ثوب وعشرة آلاف دينار ونفائس مرصعات وعدداً من الجواهر ، فلم يلتفت هولاكو خان إليها ومنحها كلها للأمراء و الحاضرين ثم قال للخليفة : إن الأموال التي تملكها على وجه الأرض ظاهرة هي ملك عبيدنا لكن أذكر ما تملكه من الذخائر و ما هي وأين توجد فاعترف الخليفة بوجود حوض مملؤ بالذهب في ساحة القصر فحفروا الأرض حتى وجودوه كان مليئاً بالذهب الأحمر] .

وقد ذكر هندو شاة النخجواني [5]: [ثم وضع أمام المستعصم طبقاً من الذهب وقال هولاكو له : كل فأجابه . لا يؤكل فقال : فلم لم تدفع للجند ؟ لم تأت لحربي إلى شاطئ جيحون ؟ أولم لم تسع إلى كسب ودي ؟ ... ثم قال له وأين خزائنك الدفينة ؟ فأراه حوضاً ...]

---

(١) البداية والنهاية : ٢١٤/١٣ .

(٢) الطبقات ٢٧٠/٨ .

(٣) جامع التواريخ ص ٢٩١ .

(٤) الطبقات ٢٧١/٨ .

(٥) في كتاب " تجارب السلف ص ٣٥٧" نقلاً عن بلاد الشام إبان الغزو المغولي لمحمد التونجي (١٠٩) .

قال الهمذاني [1] : [وقصارى القول أن كل ما كان الخلفاء قد جمعوه خلال خمسة قرون وضعه المغول بعضه على بعض فكان كجبل على جبل] .

قال الهمذاني [2] : [وبعد ذلك صدر الأمر بإحصاء نساء الخليفة فعدوا سبعمائة زوجة وسرية وألف خادمة فلما أطلع الخليفة على تعداد نسائه تضرع وقال : مُنَّ عليَّ **بأهل** حرمي اللائى لم تطلع عليهن الشمس و القمر] .

فقال هولاكو : أختر مائة من هذه النساء السبعمائة واترك الباقي فأخرج الخليفة معه مائة امرأة من أقاربه والمحببات إليه...].

ثم قال الهمذاني [3] : " في يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر ... ثم استدعى الخليفة فأدرك هذا أن أمارات النحس تبدوا على مصيره وخاف خوفاً شديداً وقال للوزير – ابن العلقمي – ما حيلتنا فأجاب الوزير : ((لحيتنا طويلة)) !!...

ويئس الخليفة من إنقاذ حياته ، واستأذن في أن يذهب إلى الحمام ليجدد اغتساله فأمر هولاكو خان بأن يذهب مع خمسة من المغول ولكن الخليفة قال : [أنا لا أن أذهب بصحبة خمسة من المغول من الزبانية] وكان ينشد بيتين أو ثلاثة من قصيدة هذا مطلعها :

و أصبحنا لنا دار كجنات وفردوس وأمسينا بلا دار كأن لم تغن بالأمس

وفي مساء يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر سنة ٦٥٦ قضوا على الخليفة...]

وقد كان هولاكو متخوفاً من قتل الخليفة وسفك دمه وسبب ذلك كما ذكره بارثولدشبولر [4]: [من خوف موروث مصدره خرافي من إراقة الدماء الملكية] وقد جاء في(طبقات الشافعية[5]) : [فقيل لهولاكو : إن هذا إن أهريق دمه تظلم

---

(١) جامع التواريخ ص ٢٩٢ .

(٢) جامع التواريخ ص ٢٩٢ .

(٣) جامع التواريخ ص ٢٩٣ .

(٤) في (كتاب العالم الإسلامي ص ٤٧) عن التونجي (ص١١١) .

(٥) ٢١٧/٨ .

الدنيا ويكون سبب خراب ديارك فإنه ابن عم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وخليفة الله في أرضه فقام الشيطان المبين الحكيم نصر الدين الطوسي ، وقال : يقتل ولا يراق دمه ..... فقيل : أن الخليفة غم في بساط ، وقيل رفسوه حتى مات ولما جاءوا ليقتلوه صاح صيحة عظيمة ...] .

وقال ابن كثير [1]: [فقتلوه رفساً وهو في جوالق لئلا يقع على الأرض شيء من دمه . خافوا أن يؤخذ بثأره فيما قيل لهم ، وقيل بل خنق وقيل بل أغرق والله أعلم] .

قال الذهبي : [2] [توفي الخليفة في أواخر المحرم سنة ٦٥٦ هـ وما أظنه دفن وكان الأمر أعظم من يوجد من يؤرخ موته أو يواري جسده] .

قال ابن الفوطى[3] : [فقتل يوم الأربعاء رابع عشر صفر ولم يهرق دمه بل جعل في غرارة ورفس حتى مات ودفن وعفي أثر قبره] .

٣– مصير أبناء الخليفة وزوجته:

قال في ابن الفوطى[4] : [ثم قتل ولده أبو العباس احمد..... ثم قتل ابن الخليفة الأوسط أبو الفضل عبد الرحمن ... وأما ولد الخليفة الأصغر مبارك وأخواته فاطمة و خديجة ومريم فإنهم لم يقتلوا بل أسروا] .

قال الهمذاني [5]: ((وفى مساء الأربعاء الرابع عشر من صفر سنه (٦٥٦ هـ) قضوا على الخليفة وعلى ابنه الأكبر وخمسة من الخدم ..... وقد سُلِّم الابن الأصغر للخليفة إلى ((أولجى خاتون)) فأرسلته إلى مراغة ليكون مع الخواجه نصير الدين ثم زوجوه من امرأة مغولية فأنجب منها ولدين وفي يوم الجمعة سادس عشر من صفر ألحقوا الابن الثاني للخليفة بوالده وأخيه ...] .

---

(١) البداية والنهاية ٢١٤/١٩ .

(٢) .

(٣) الحوادث الجامعة ٣٥٧ .

(٤) الحوادث الجامعة ٣٥٧ .

(٥) جامع التواريخ ص٢٩٤ .

وأما زوجة الخليفة فلما أراد هولاكو أن يواقعها احتالت عليه بحيلة جعلت إحدى جواريها تقتلها أمام هولاكو وقصتها في طبقات الشافعية للسبكي [1] .

٤- ما جرى على العباسيين في بغداد:

قال الهمذاني [2]: [كذلك قضوا على كل شخص وجدوه حيا من العباسيين اللهم إلا أفراداً قلائل لم يأبهوا بهم].

وكذلك وصف ما حدث لهم ابن الفوطي [3] [وجاءوا إلى أعمام الخليفة و أنسابه الذين كانوا في الصخرة ودار الشجرة وكانوا يطلبون واحداً بعد واحد فيخرج بأولاده وجواريه فيحمل إلى مقبرة الخلال التي تجاه المنظرة فيقتل جميعهم عن أخرهم] .

بل حتى الموتى لم يسلموا منهم فقد ذكر ابن الفوطي[4]وهو يتكلم عن الشاعر شمس الدين محمد بن عبيدالله الكوفي فقال : [ولما شهد ترب الرصافة وقد نبشت قبور الخلفاء وأحرقت تلك الأماكن ، وأبرزت العظام والرؤوس كتب على بعض الحيطان

إن ترد عبرة فتلك بنوالعبـ ـاس حلت عليهم الآفات

استبيح الحريم إذ قتل الأحيـ ـاء منهم وحرق الأموات

وقد قال ابن كثير [5]: [وكان الرجل يستدعى به من دار الخلافة من بني العباس فيخرج بأولاده ونسائه فيذهب بهم إلى مقبرة الخلال تجاه المنظرة فيذبح كما تذبح الشاة ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه].

٥ – ماجرى على كبراء بغداد :

قال الهمذاني [1]: [وكان معه – لما خرج الخليفة إلى هولاكو – ثلاثة آلاف من السادات والأئمة والقضاة والأكابر وأعيان المدينة].

---

(١) ٢٧٢/٨ .

(٢) جامع التواريخ ص ٢٩٤ .

(٣) الحوادث الجامعة ص ٣٥٩ .

(٤) الحوادث الجامعة ٣٦٤ .

(٥) البداية والنهاية ٢١٦/١٣ .

قال ابن الفوطي [٢]:[فخرج الخليفة و الوزير... ومعه جمع كثير فلما صاروا ظاهر السور منعوا أصحابه من الوصول معه]

قال اليونيني[٣]: [فحينئذ أشار ابن العلقمي الوزير على الخليفة بمصانعة ملك التتار ومصالحته وسأله أن يخرج إليه – الوزير – في تقرير ذلك فخرج وتوثق منه لنفسه ثم رجع الى الخليفة وقال له انه قد رغب أن يزوج ابنته من ابنك الأمير أبي بكر ويبقيك في منصب الخلافة ..... فتجيبه إلى هذا فإن فيه حقن دماء المسلمين .... فخرج في جمع من أكابر أصحابه فأنزل في خيمه ثم دخل الوزير فاستدعى الفقهاء و الأماثل ليحضروا عقد النكاح فيما أظهره فقتلوا وكذلك صار يخرج طائفة بعد طائفة). وقد ذكر هذا السبكي في الطبقات [٤] ونحوه في البداية و النهاية [٥] .

وعد ابن الفوطي [٦] أكثر من ١٥ رجلاً من رجال الدولة قتلهم المغول. وقال ابن كثير [٧]:[وقتل الخطباء و الأئمة وحملة القرآن] .

ومن القصص التي ذكرها المؤرخون في قتل العلماء قتل جمال الدين أبو زكريا الصرصري الحنبلي قال ابن كثير[٨]: [ولما دخل التتار إلى بغداد دعي إلى ذارئها كرمون بن هولاكو فأبى أن يجيب إليه ، وأعد في داره حجارة فحين دخل عليه التتار رماهم بتلك الأحجار فهشم منهم جماعة فلما خلصوا إليه قتل بعكازه أحدهم ثم قتلوه شهيداً رحمه الله تعالى] .

---

(١) جامع التواريخ ٢٩٠ .

(٢) الحوادث الجامعة ٣٥٧ .

(٣) ذيل مرآة الزمان ٨٨/١ .

(٤) ٢٧٠/٨ .

(٥) ٢١٤/١٣ .

(٦) الحوادث الجامعة ص٣٥٨

(٧) البداية والنهاية : ٢١٦/١٣ .

(٨) البداية والنهاية : ٢٢٤/١٣ .

٦- ما جرى لعامة أهل بغداد :

لم يسلم العامة من قتل هؤلاء بطرق بشعة وأحداث دامية ؛ فعندما وصل الخليفة إلى هولاكو قال له [1] :[مر حتى يضع سكان المدينة أسلحتهم ويخرجوا لكي نحصيهم فأرسل الخليفة من ينادى في المدينة ليضع الناس أسلحتهم ويخرجوا . فألقى الناس أسلحتهم زمرا وصاروا يخرجون فكان المغول يقتلونهم].

وفي نفس الكتاب [2] ذكر أن المغول أعطوا سليمان شاه و الداودار أماناً ليخرجا بجندهم فلما خرجوا قسموهم ألوفا ومئات وعشرات وقتلوهم جميعاً وكان هذا قبل خروج الخليفة .

وقال ابن الفوطي واصفاً ما حدث لعامة الناس فقال[3] : [ووضع السيف في أهل بغداد يوم الاثنين خامس صفر وما زالوا في قتل ونهب وأسر وتعذيب الناس بأنواع العذاب واستخراج الأموال منهم بأليم العقاب مدة أربعين يوماً فقتلوا الرجال و النساء و الصبيان والأطفال ، فلم يبق من أهل البلد ومن التجأ إليهم من أهل السواد إلا القليل .... وأحرق معظم البلد وجامع الخليفة وما يجاوره واستولى الخراب على البلد وكانت القتلى في الدروب و الأسواق كالتلول ووقعت الأمطار عليهم ووطئتهم الخيول ، فاستحالت صورهم وصاروا عبرة لمن يرى ثم نودي بالأمان فخرج من تخلف وتغيرت ألوانهم وذهلت عقولهم لما شاهدوا من الأهوال التي لا يعبر عنها بلسان . وهم كالموتى إذا خرجوا من القبور يوم النشور من الخوف والجوع والبرد ... قيل أن عدة القتلى ببغداد زادت على ثمان مئة ألف نفس عدا من ألقي من الأطفال في الوحول ومن هلك في القنى و الآبار وسراديب الموتى جوعاً و خوفاً ، ووقع الوباء فيمن تخلف بعد القتل من شم روائح القتلى وشرب الماء الممتزج بالجيف ، وكان

---

(١) جامع التواريخ ص٢٩١ .

(٢) انظر: جامع التواريخ ص ٢٨٩.

(٣) الحوادث الجامعة ص٣٥٩ .

الناس يكثرون من شم البصل لقوة الجيفة وكثرة الذباب فإنه ملأ الفضاء وكان يسقط على المطعومات فيفسدها] .

وقال السبكي [1]: "و قيل إن هولاكو أمر بعد ذلك بعدّ القتلى فكانوا ألف ألف وثمانمائة ألف النصف من ذلك تسعمائة ألف غير من لم يعد و من غرق ثم نودي بعد ذلك بالأمان فخرج من كان مختبئ وقد مات الكثير منهم تحت الأرض بأنواع من البلايا والذين خرجوا ذاقوا أنواع الهوان والذل ثم حفرت الدور وأخذت الدفائن والأموال التي لا تعد ولا تحصى وكانوا يدخلون الدار فيجدون الخبيئة فيها وصاحب الدار يحلف أن له السنين العديدة فيها ما علم أن بها خبيئة، ثم طلبت النصارى أن يقع الجهر بشرب الخمر و أكل لحم الخنزير و أن يفعل معهم السلمون ذلك في شهر رمضان، فألزم المسلمون بالفطر في رمضان و أكل الخنزير و شرب الخمر،.....

و أعطى دار الخليفة لشخص من النصارى و أريقت الخمور في المساجد و الجوامع و منع المسلمون من الإعلان بالأذان فلا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم، هذه بغداد لم تكن دار كفر قط و جرى عليها هذا الذي لم يقع قط من منذ قامت الدنيا مثله " .

وقال ابن كثير [2] : "ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان .

ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش وقني الوسخ وكمنوا كذلك أياما لا يظهرون ، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ، ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة فيقتلونهم في الأسطحة حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة فإنا لله وإنا إليه راجعون وكذلك في المساجد والجوامع والربط ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ومن التجأ إليهم وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي وطائفة من التجار أخذوا لهم

---

(١) الطبقات الكبرى : ٨/ ٢٧١ .

(٢) البداية والنهاية: ١٣/٢١٥

أمانا بذلوا عليه أموالا جزيلة حتى سلموا وسلمت أموالهم وعادت بغداد بعدما كانت آنس المدن كلها كأنها خراب ليس فيها إلا القليل من الناس وهم في خوف وجوع وذلة وقلة .....

وقد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين فقيل : ثمانمائة ألف وقيل : ألف ألف وثمانمائة ألف وقيل : بلغت القتلى ألفي ألف نفس فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وكان دخولهم إلى بغداد في أواخر المحرم ، وما زال السيف يقتل أهلها أربعين صباحا.....

وتعطلت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد..... ولما انقضى أمد الأمر المقدر وانقضت الأربعون يوما بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس والقتلى في الطرقات كأنها التلول وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت من جيفهم البلد وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولما نودى ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والقني والمغاير كأنهم الموتى إذا نبشوا من قبورهم وقد أنكر بعضهم بعضا ، فلا يعرف الوالد ولده ، ولا الأخ أخاه وأخذهم الوباء الشديد فتفانوا ولحقوا بمن سبقهم من القتلى واجتمعوا في البلى تحت الثرى بأمر الذي يعلم السر وأخفى الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى " .

٧ – إتلاف الكتب :

ومن فجائع هذا الغزو الدمار في الجانب الثقافي والحضاري وهو المتعلق بإتلاف الكتب. في أعظم مكتبات العالم. في بغداد فكم خسرت الإنسانية من علوم ومعارف حتى أن علي الطباطبائي قال[1] : [وأما ما حل بخزائن العلم من المكاتب والمدارس في بغداد فحدث و لا حرج . فقد كانت بغداد مركز من أعظم مراكز الإشعاع الفكري في العالم ... وقد حرق التتار كل ما وجدوا في بغداد من علم ومن مراكز للعلم كما قتلوا كل من عثروا عليه من العلماء أو كل من كان في بغداد من العلماء ...يقول قطب الدين الحنفي : تراكمت الكتب التي ألقاها التتار في نهر

(١) رياض المسائل : ٢/٧ .

دجلة حتى صارت معبراً يعبر عليه الناس والدواب واسودت مياه دجلة بما ألقي فيها من الكتب] .

* وختاما لهذه الصور الفظيعة أقول الأمر كما[1] قال أبو شامة المقدسي رحمه الله : [وجاء كتاب من بعض من سلم منهم ببغداد يقول : والأمر أعظم مما بلغكم من الأخبار اللهم عافنا وبلادنا من كل سوء] .

الباب الثاني

(١) الذيل على الروضتين ص ١٩٩.

بعد ذكر تلك الأحداث الدامية نأتي إلى هدف هذه الرسالة ألا وهو دور نصر الدين الطوسي وابن العلقمي في هذه الأحداث ومدى ارتباط هذا الدور بالمذهب الذي يدينان به وهو المذهب الإمامي الاثنى عشري سيكون البحث على النحو التالي

أولاً : نصير الدين الطوسي :

أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن الطوسي المعروف بالمحقق الطوسي ، والخاجة – الخوجة – نصير الدين الطوسي . ولد في طوس سنة (٥٩٧ هـ) وتوفي في بغداد سنة (٦٧٢هـ) .

بسبب اشتهاره بعلوم الفلسفة والحكمة والكلام دعاه حاكم قهستان الإسماعيلي ناصر الدين عبد الرحيم بن أبي منصور ليقيم عنده مكرما ثم انتقل بعدها من عند ناصر الدين إلى زعيم الإسماعيلية في ذلك الوقت وهو علاء الدين فأصبح وزيراً عنده وبعد وفات علاء الدين أصبح وزيراً عند أبنه ركن الدين خور شاه آخر حكام قلاع الإسماعيلية قبل أن يستولي عليها هولاكو ، وبعدها قرّب هولاكو الطوسي ورفع منزلته حتى أصبح وزيراً عنده وعند أولاده من بعده حتى هلك الطوسي عام (٦٧٢هـ) [1] .

منزلته عند هولاكو :

منزلة الطوسي لدى هولاكو نقطة مهمة في محور حديثنا عن دور هذه الشخصية فيما حدث لبغداد ولذا لن اعتمد فيها على مؤرخي أهل السنة بل على مؤرخ محايد قريب من الحدث أو شيعي

يقول الهمذاني[2]: [ولما تأكد هولاكو من صدق و إخلاص الخواجة نصير الدين الطوسي و ... شملهم بعطفه وإنعامه وأعطاهم ... وألزمهم حضرته هم و أبناؤهم حتى اليوم ...] .

---

(١) راجع أعيان الشيعة: ١١٤/٩ .

(٢) مؤرخ المغول ومن رجالهم في كتابه جامع التواريخ ص ٢٤٥ .

وقال أيضاً[1]: [ذلك لأنه - أي هولاكو – كان قد أطلع على حسن سريرته فكان يريد أن يظل ملازماً له] .

قال النوري الطبرسي – من علماء الشيعة - في خاتمة المستدرك[2].(وكان ذا حرمة وافرة عند هولاكو وكان يطيعه فيما يشير به عليه والأموال في تصرفه) وقد نقل علي الطباطبائي[3]هذا القول تقريبا عن الكتبي مقراً له

ويقول أيضا الميرز النوري الطبرسي[4]: [... أكرم - هولاكو – المحقق – الطوسي – غاية الإكرام والإعزاز وصحبه و ارتكب الأمور الكلية حسب رأيه وإجازته] .

وقال ابن العبري[5]. في كتابه تاريخ مختصر الدول : [وأصبح نصير الدين بعد ذلك اليد اليمنى لهولاكو ووزيراً له] [6]

و لأجل هذه المكانة والنفوذ لدى هولاكو [فقد أقنعه بأن يعهد إليه بالإشراف على الأوقاف الإسلامية والتصرف بمواردها بما يراه فوافق هولاكو] [7] .

بل يقول حسن الأمين في كتاب والده "أعيان الشيعة" [8]: [وقال محمد مدرسي زنجاني ... فضلاً عن مقام الطوسي العلمي استطاع بتأثيره على مزاج هولاكو أن يستحوذ تدريجياً على عقله وأن يروض شارب الدماء ...] .

هذه مكانة الطوسي لدى هولاكو بعد توزره له بل استمرت صحبة وتوزر الطوسي لخلف هولاكو الذي توفي عام ٦٦٣هـ و هو أبنه أبا قاخان إلى أن مات الطوسي

---

(١) مرجع سابق ص ٣٠٤ .

(٢) خاتمة المستدرك :٣٢٣/٢ .

(٣) كتاب رياض المسائل (٢٦/٢).

(٤) خاتمة المستدرك : ٤٢٥/٢ .

(٥) يهودي توفي عام (٦٨٥ هـ) .

(٦) راجع .

(٧) انظر: الغزو المغولي لحسن الأمين ص ١٥٦، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ٢٥٠ .

(٨) ٤١٧/٩ .

سنة(٦٧٢هـ) وبعد وفاته لم تنقطع الصلة بل توزر لهذه الدولة الإلخانية ابن الطوسي صدر الدين علي بن محمد الطوسي . فلما مات تولى بعده جميع مناصبه أخوه أصيل الدين حسن بن محمد الطوسي[1] . فهل بعد هذا يمكن أن يقال إن توزر الطوسي لهولاكو كان خوفا من بطشه؟!

٢ – مذهب الطوسي:

تحديد مذهب الرجل يساعد في فهم منطلقاته ومبادئه التي يسير عليها في حياته وتصرفاته وأحكامه على الآخرين وكذلك منزلته ومكانته في المذهب لها أثر في الحكم على تصرفاته حيث أنه يراعي وضعه ومكانته في المذهب ، وكذلك المذهب يتحمل تصرفات رموزه إذا لم يظهر براءته منهم

والطوسي تنازعته فرقتين من فرق الشيعة وهما الاثنى عشرية والإسماعيلية وذلك بسبب أمرين

١- توزره للإسماعيلية

٢- نصرته للمذهب الاثنى عشري بعد الغزو المغولي

والأظهر أنه أثنى عشري لأمور:

١- كما سبق نصرته لمذهبهم بعد تمكنه في دولة هولاكو

٢- تأليفه في مذهبهم فهذا إقرار منه بهذا الانتساب

٣- عدم وجود ما يخالف الظاهر وكونه توزر للإسماعيلية لا يعني تبنيه لمذهبهم خاصة أن الرجل عرض على ابن العلقمي أن يعينه بالتقرب لدى الخليفة كما سيأتي ان شاء الله وكذلك هو قد توزر لهولاكو الوثني

وقد ترجم للطوسي في كتب الإمامية و أثني عليه ثناءً عظيما ومن هذا

---

(١) انظر جامع الخلاف والوفاق العلي بن محمد القمي ص١٠، وانظر الدرر الكامنة (٣٩٠/١) ، أعيان العصر للصفدي (٥٤١/١) ، أعيان الشيعة (٢٦٩/٥) .

قول الحلي – الملقب عند الشيعة بالعلامة – في أجازته لبني زهرة عند ذكر الطوسي [وكان هذا الشيخ محققاً ...و له مصنفات كثيرة ... على مذهب الإمامية] [1] ، وخاتمة المستدرك للطبرسي – شيعي – (٤٢٤/٢) .و طرائف المقال لعلي البروجوري (٤٤٤/٢) ، وقد ترُجم له في كتاب (أعيان الشيعة[2]) لمحسن الأمين وكاتب هذه الترجمة ابنه حسن الأمين حيث أن محسن الأمين ترك بعض التراجم بيضاء فأكملها غيره .

مكانة الطوسي عند الشيعة :

يقول حسن بك روملو في تاريخه : [لم يسع أحد بعد الخواجة نصير الدين الطوسي مثل ما سعى الشيخ علي الكركي هذا في إعلاء أعلام المذهب الجعفري وترويج دين الحق الاثنى عشر [3]].وقد عده الشهيد الثاني –كما يسمونه–مجدد القرن السابع[4]

ويقول أيضاً في روض الجنان [العلامة السعيد سلطان العلماء المحققين خواجة نصير ...] .

ويقول علامتهم الحلي في أجازته لبني زهرة : [وكان هذا الشيخ أفضل أهل عصر في العلوم العقلية و النقلية ... وكان أشرف من شاهدناه في الأخلاق نور الله ضريحه] [5] .

وقال عنه النوري الطبرسي[6] : [ناموس دهره وفيلسوف عصره وعزيز مصره سلطان المحققين الخواجة نصير الملة والدين الأعظم محمد بن محمد بن الحسن الطوسي

---

(١) انظر: أمل الأمل للحر العاملي : ٢٩٩/٢.

(٢) ٤١٤/٩

(٣) مقدمة جامع المقاصد :٣٣/١ .

(٤) شرح اللمعة :٢٩٨/١.

(٥) مجمع الفائدة للاردبيلي :١٧/١، وفي بحار الأنوار .

(٦) خاتمة المستدرك :٤٢٢/٢.

الحكيم المحقق الجليل ، الذي شهد بعلو مقامه في مراتب العلوم المخالف فضلاً عن الموالف ...] .

ويقول الحر العاملي [1]: [... كان فاضلاً ماهراً عالماً متكلماً محققاً في العقليات] .

وقد أثنى عليه الخميني [2] حيث يقول : [وإذا كانت ظروف التقية تلزم أحداً منا بالدخول في ركب السلاطين فهنا يجب الامتناع عن ذلك حتى لو أدى الامتناع إلى قتله إلا أن يكون في دخوله نصر حقيقي للإسلام والمسلمين مثل دخول علي بن يقطين ونصر الدين الطوسي ...].

ولا أدري كيف تفسر تصرفاته وموافقته لهولاكو على أنه مجبر ثم يقال أنه حقق في الوزارة نصراً حقيقياً للإسلام والمسلمين ، إلا إن كان ما يعنيه الخميني ومن يثني عليه كالخونساري هو حالة الازدهار التي كانت للمذهب الشيعي بعد حكم المغول وأما ما حصل لبغداد والخلافة فلا قيمة له في مقابل هذا ، ويظهر أن هذا هو المقصود ، و سيأتي أن شاء الله فصل في أوضاع الشيعة إبان الغزو لبغداد وما حصل لهم بعدها .

ومن تعظيم الشيعة المعاصرين لهذا الرجل أن أقيم احتفال بذكر مرور سبعة قرون على وفاته . وذلك في إيران يوم ٢٦أيار لغاية ٢ حزيران من عام ١٩٥٦م في جو عاصف بالروح الفارسية كما يقول الدكتور محمد المشهداني [3] .

---

(١) أمل الأمل :٢/٢٩٩ .

(٢) الحكومة الإسلامية ص ١٤٢ ، عن حتى لا نخدع ص ٤٧ .

(٣) محكمة التاريخ ص ١٣ .

ثانياً : محمد بن العلقمي :

هو مؤيد الدين أبو طالب محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن العلقمي توفي في سنة (٦٥٦هـ)[١].

وقال ابن طباطبائي : [كان رجلاً فاضلاً كاملاً لبيباً كريماً وقوراً محباً للرئاسة كثير التحمل متمسكاً بقوانين الرئاسة خبيراً بأدوات السياسة][٢] .

قال محمد مدرسي في كتابه عن الطوسي وحياته[٣] عن ابن العلقمي : [وأقام عند خاله عضد الدين القمي الذي كان يشغل يومئذٍ منصب رئاسة دار الإنشاء للحاكم العباسي ، ثم أنتقل هذا المنصب بعد مدة إلى شمس الدين ناقد و أعيظ بعد فتره بابن العلقمي ، ومات ابن الناقد الذي كان وزيراً سنة ٦٤٢هـ وبعد وفاة المستنصر وتسلم المعتصم زمام الأمور فانتقلت الوزارة إلى ابن العلقمي الذي ظل فيها أربع عشرة سنة من سنة (٦٤٢) إلى سنة (٦٥٦) ... إلى أن غزا هولاكو بغداد ، ونسف قواعد الحكم العباسي ، وقتل المستعصم وأسند إلى ابن العلقمي حكومة بغداد فظل فيها وبعد أشهر اعتلت صحته حتى أسلمه الداء إلى المنون ....وتولى نجله شرف الدين أبو القاسم على حكومة بغداد بعد أبيه].

مكانة ابن العلقمي لدى الخليفة

تولى ابن العلقمي الوزارة مدة أربع عشرة سنة مما يدل على مكانته وتمكنه (٦٤٢-٦٥٦) . ومع هذا يحاول بعض الشيعة من منطلق تبرير مواقف ابن العلقمي من

---

(١) أعيان الشيعة : ٨٢/٩.

(٢) الفخري ص٣١٢.

(٣) ص ١١٠ .

الخليفة عند سقوط بغداد أن يصف الوزير بالضعف وعدم التمكن من التأثير على الخليفة ولمعرفة مدى صحة هذا الرأي نورد ما ذكره المؤرخون عن مكانته لدى الخليفة

يقول ابن طباطبا المعروف بابن الطقطقي [1]: [وكان الخليفة يعتقد فيه ويحبه ...] .

ويقول السيوطي: [ثم ركن المستعصم إلى وزيره مؤيد الدين العلقمي ... والعب بالخليفة كيف أراد] [2] .

ومما يدل على علو مكانته عند الخليفة ما ذكر الخونساري عن المراسلة التي بين الطوسي وابن العلقمي وطلب الطوسي من ابن العلقمي السعاية له للدخول على الخليفة مما يدل على علمه بمكانته ، وكذلك موقف ابن العلقمي الذي لم يسع لتقريب الطوسي خوفاً على مكانته منه فلو لم تكن له مكانة لما خاف من قرب الطوسي . [3] .

ومما يدل أيضا على مكانته أن هولاكو لما راسل الخليفة من همدان طلب من الخليفة أن يرسل كل من الوزير ابن العلقمي وسليمان شاه و الدويدار لعلمه بمكانتهم [4].

بل الوزير هو ارفعهم مكانة بشهادة الخليفة نفسه سير الخليفة الوزير العلقمي وقال لهولاكو أنت طلبت أحد ثلاثة و هاأنا قد سيرت إليك الوزير وهو أكبرهم ...] [5].

ويقو ل عبدالله الشيرازي وهو شيعي : [وكان الذي يدير الأمور وينظم الأعمال مؤيد الدين ابن العلقمي] [6] .

---

(١) الفخري ص ٣١٣.

(٢) تاريخ الخلفاء ص ٤٠١ .

(٣) انظر أعيان الشيعة: ٨٦/٩ .

(٤) انظر :جامع التواريخ ٢٦٨ص، ومختصر الدول لابن العبري ص٢٣٥ .

(٥) انظر: مختصر الدول لابن العبري ص ٢٣٦ ، ونفسه في أعيان الشيعة: ٨٨/٩ .

(٦) انظر محكمة التاريخ ص ٥٧ .

ومما يدل على علو هذه المكانة مجريات الأحداث ، وبقاء الوزير مع الخليفة إلى أخر لحظة ، وكون الخليفة خرج بعد مداولات الوزير مع هولاكو كل هذا يدل على بقاء هذه المكانة لدى الخليفة فلا يصح ما يقوله بعض الشيعة كابن الطقطقي [1]، وجعفر خصباك [2].

من أنه لم يكن له لا حول ولا قوة ولم يكن مسموع الرأي عند الخليفة وكل هذا حتى لا يقع عليه مسؤولية ما حدث في بغداد بصفته وزير الخليفة والرجل الثاني في الدولة .

ب –مذهب ابن العلقمي :

لم يذكر أحد أن ابن العلقمي ليس إماميا ولذلك لن نكثر من النقول التي تثبت هذه القضية

فممن عده من الإمامية الخونساري [ولما كان مؤيد الدين العلقمي الذي هو من أكابر الشيعية في ذلك الزمان ...] [3].

وقال المجلسي [4]: [وكان رضي الله عنه إمامي المذهب صحيح الاعتقاد...]

وقد ترجم له في كتاب أعيان الشيعة (٨٢/٩) . ونكتفي بهذا

ثناء الشيعة عليه

جاء في أعيان الشيعة[5]: [...وكان عالماً فاضلاً أديباً ..... وجاء في كتاب الإجازات من بحار الأنوار ... ومات الوزير السعيد مؤيد الدين أبو طالب محمد بن أحمد العلقمي ... وكان رحمه الله إمامي المذهب صحيح الاعتقاد رفيع الهمة

---

(١) الفخرى ص ٣١٣ و ٣٠٨.

(٢) انظر: أعيان الشيعة:٩ /٩٩ .

(٣) انظر: أعيان الشيعة (٦٨/٩) .

(٤) بحار الأنوار (٣١/١٤) .

(٥) ٨٢/٩ .

...ولأجله صنف... ابن أبي الحديد شرح النهج] وسبق قول الخونساري أنه من كبار الشيعة .

وقال فيه ابن أبي الحديد [1]: [وبعد فإن مراسم المولى الوزير الأعظم الصاحب الصدر الكبير المعظم العالم العادل المظفر المنصور المجاهد المرابط مؤيد الدين عضد الإسلام سيد وزراء الشرق والغرب أبي محمد ابن العلقمي ...] أهـ .

٣- العلاقة بين الطوسي وابن العلقمي :

و مما يساعد في فهم الاحداث التي جرت في بغداد معرفة علاقة الرجلين ببعضهما ومدى التفاهم بينهما ومعرفة العامل المشترك بين أهدافهما فهل توجد علاقة بين الرجلين وما طبيعة هذه العلاقة وما أهدافها

جاء في كتاب أعيان الشيعة : [قال الخونساري في ترجمة نصير الدين الطوسي : ولما كان مؤيد الدين العلقمي الذي هو من أكابر الشيعة في ذلك الزمان وزير المستعصم الخليفة العباسي في بغداد أراد المحقق (الطوسي) دخول بغداد ومعارضته بما أختلج بداخله من ترويج المذهب الحق بمعاونة الوزير المذكور] . فالعلاقة بينهما موجودة بل والأهداف في خدمة المذهب مشتركة وإلا لما باح له بذلك ثم ذكر أن الوزير لم يسع لذلك خوفاً على منصبه .

ذكر هذه العلاقة الخونساري في روضات الجنات (٦١٠)الطبعة الأولى كما في حاشية أعيان الشيعة ، وذكرها النوري الطبرسي في خاتمة المستدرك (٤٤٢/٢) وهو شيعي ، وذكرها علي البروجردي في طرائق المقال (٤٤٧/٢) .

ومع هذا الموقف من ابن العلقمي – عدم السعاية له بالقدوم على الخليفة – إلا أن علاقته مع الطوسي لم تتأثر ، ومما يدلنا على هذا أن الطوسي هو الذي –كما يقول الشيعة- رفع مكانة ابن العلقمي عند هولاكو حيث يقول ابن طباطبا – المعروف

---

(١) مقدمة شرح نهج البلاغة (٣/١) .

بـــابن الطقطقـــي – في كتابـــه الفخـــري في الآداب الســـلطانية : [وكـــان الـــذي تـــولى تربيتـــه في الحضرة السلطانية الوزير السعيد نصير الدين محمد الطوسي ...] [1].

وقـــد قـــال المـــترجم لابـــن العلقمـــي[2]: [والأرجـــح أن شـــفاعة نصـــير الـــدين الطوســـي كانـــت أهم سبب في نجاته] .

ونحـــن هنـــا لا نننـــاقش ســـبب نجـــاة ابـــن العلقمـــي بـــل فقـــط نثبـــت مـــدى العلاقـــة بـــين الشخصيتين .

بـــل قـــد ذكـــر المجلســـي[3] مراســـلات بينهمـــا تتعلـــق بـــالنظرة الشـــرعية – عنـــد الشـــيعة – لســـقوط الدولـــة العباســـية و إعطائهـــا مـــبررات و أســـباب شـــرعية حيـــث يقـــول عنـــد شـــرحه : [لقـــول أبـــو جعفـــر عـــن العباســـين : لا يـــزال القـــوم في فســـحة مـــن ملكهـــم مـــا لم يصـــيبوا منا دماً حراماً] .

قـــال المجلســـي : [ويحتمـــل أن يكـــون إشـــارة إلى قتـــل رجـــل مـــن العلـــويين قتلـــوه مقارنـــاً لانقضـــاء دولـــتهم كمـــا يظهـــر ممـــا كتـــب ابـــن العلقمـــي إلى نصـــير الـــدين الطوســـي ...] .

وقد ذكر احتمال وقوع هذا الاتصال بينهما عارف تامر[4] .

ثانياً : المذهب الإمامي .

مـــر معنـــا أن الطوســـي وابـــن العلقمـــي ينتســـبان للمـــذهب الشـــيعي الإمـــامي الاثـــنى عشـــري الجعفـــري وكـــل هـــذا مـــن مســـميات هـــذا المـــذهب ، وكـــان إظهـــار مـــذهب الـــرجلين مهمـــاً جـــداً ؛ لأن الخلفيـــة الفكريـــة والثقافيـــة والاجتماعيـــة مهمـــة في دراســـة آثـــار هـــذه الشخصـــية ومعرفـــة الـــدوافع الـــتي وراء تصـــرفاته و المنطلقـــات الـــتي يتحـــرك منهـــا لأي عمـــل ومعرفـــة نظرتـــه وتقييمـــه لمـــا حولـــه مـــن أفـــراد وجماعـــات وأمـــم وغـــير ذلـــك ومـــن هـــذه الأهميـــة أحببـــت

---

(١) الفخري ص٣١٣ .

(٢) أعيان الشيعة (١٠١/٩) .

(٣) بحار الأنوار (٣٤١/٦٤) .

(٤) نصير الدين الطوسي في مرابع ابن سينا ص ٧٣ .

أن أذكر بعض المسائل والعقائد المهمة في المذهب الشيعي والتي أزعم أنها تساعد في فهم مواقف الرجلين ، وكذلك يتضح منها موقف الشيعة مما نسب للطوسي أو ابن العلقمي من تهم فمن العجب أن تعلم أنه مع اختلاف مواقفهم إلا أنها تنسجم مع عقائد ومبادئ هذا المذهب . وهذا سيظهر لك ان شاء الله بعد الاطلاع على كلام علمائهم

فأقول والله المستعان

الباب الثالث

مقدمة :

المذهب الشيعي له عدة مسميات منها الإمامية وهذا لجعلهم مسألة النص على الإمام من أصول الإيمان وكذلك يسمون

بالإثنى عشرية لإيمانهم باثني عشر إمام معصوم

وضابط المذهب هو القول بالنص على إمامة علي بن أبي طالب وأولاده الأحد عشر المنصوص عليهم من بعده

نشأة المذهب الشيعي :

المذهب الشيعي مر بمراحل عديدة تاريخية وعقائدية فبداية النزاع الذي حدث بين علي رضي الله عنه ومعاوية رضي الله عنه

كان خلافا في مسألة قتلة عثمان فقط ولم يكن هناك أي خلاف عقدي واستمر الصراع على هذا حتى بدأت الآراء

العقدية تتسرب إلى الشيعة شيئا فشيئا إلى أن وصلت لعقائد لا تمت للإسلام بصلة كتكفير الصحابة، والقول بالبداء ،وتحريف القرآن ،والغلو في الأئمة وغير هذا

وسنذكر في هذا الباب العقائد الموجودة والمقررة لديهم والتي لهل صلة ببحثنا

عقائد الشيعة في أهل السنة وغيرهم

نسمع ونقرأ العديد مما يقوله بعض رموز الشيعة في بلدنا وخارجها عن ضرورة توحيد الصف ونبذ الخلاف وهذا حق يسعى إليه جميع العقلاء ولكن هل لهذه الدعوة نصيب من الواقع العملي لدى الشيعة نحن نتساءل لماذا هذه اللطميات والتي تحدث سنويا ولما

تثار فيها عواطف العوام ضد أعداء آل البيت ومن هم أعداء آل البيت الآن والذي يتم تهييج مشاعر الشيعة ضدهم نحن لا نسمع في تحديد هذا العدو إلا العموميات أتراها تقية ؟

ومن تأمل وعرف روايات المذهب وأقوال علمائه عرف أن هذا العداء والشحن العاطف موجه لأهل السنة

ونقطة أخرى إذا كانوا صادقين في دعوى الوحدة فليكن موقفهم واضحا من الروايات ومن كلام علمائهم والذي فيه تفريق للأمة وزرع العداوات بينها مما سيأتي في هذا الباب ولا تكون إجابات عامة هي للتهرب أقرب منها من الموقف الشجاع والصريح بتبنيها أو رفضها من مثل قولهم :

ليس كل رواياتنا صحيحة

وبعد هذا لانجد تحذير من الروايات التي تثير الفرقة

ومثل هذا رأي شخصي واجتهاد قابل للخطأ ثم نرى كل تقدير واحترام لهذا الذي كفر الأمة وفرقها

فلو كانوا صادقين لأخرجوا كل ما يفرق الأمة من الروايات و الأقول وبينوا ضعفها وحاربوا من يقول بها

وقبل الكلام عن حكمهم في أهل السنة لابد من توضيح بعض المصطلحات التي يستخدمها الشيعة بكثرة في كتبهم والتي من خلالها نتبين حكمهم على أهل السنة "

وهذه المصطلحات هي

النواصب - والعامة – والمخالف

من هم النواصب في معتقد الشيعة

النواصب اسم يرد في كتب التاريخ والمذاهب العقدية عند السنة والشيعة وغيرهم والمراد منه عند أهل السنة هم الذي أبغضوا عليا رضي الله عنه وذموه فأهل السنة بهذا المعنى الصحيح ليسوا من النواصب بل يعتبر النصب عندهم سبة وقدحا في الرجل لما هو معروف من فضل وحق علي رضي الله عنه ولكن هل هذا هو معنى النواصب لدى الشيعة حتى يتضح لك المراد أقرأ معي كلام علمائهم

روى الكليني [1] بسنده عن محمد بن مسلم قال: دخلت على أبي عبد الله وعنده أبو حنيفة فقلت له: جعلت فداك رأيت رؤيا عجيبة قال لي: يا ابن مسلم هاتها فإن العالم بها جالس وأومأ بيده إلى أبي حنيفة قال: فقلت: رأيت كأني دخلت داري وإذا أهلي قد خرجت علي فكسرت جوزا كثيراً ونثرته علي فتعجبت من هذه الرؤيا فقال أبو حنيفة: أنت رجل تخاصم وتجادل لئاماً في مواريث أهلك فبعد نصب شديد تنال حاجتك منها إن شاء الله فقال أبو عبد الله : أصبت والله يا أبا حنيفة قال: ثم خرج أبو حنيفة من عنده فقلت: جعلت فداك أني كرهت تعبير هذا الناصب فقال يا ابن مسلم: لا يسوؤك الله فما يواطئ تعبيرهم تعبيرنا ولا تعبيرنا تعبيرهم وليس التعبير كما عبره. قال: فقلت له: جعلت فداك فقولك: أصبت وتحلف عليه وهو مخطئ قال: نعم حلفت عليه أنه أصاب الخطأ قال: فقلت له: فما تأويلها؟ قال: يا ابن مسلم إنك تتمتع بامرأة فتعلم بها أهلك فتمزق عليك ثيابا.."

كما أطلق شيخهم محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد لفظ الناصب على أبي حنيفة رحمه الله تعالى في كتابه (عدة رسائل فصل المسائل الصاغانية [2] .

---

(١) الكافي (٨/٢٩٢) .

(٢) ص ٢٦٣،٢٥٣، ٢٦٥، ٢٦٨، ٢٧٠ .

ويقول نعمة الله الجزائري [1] ما نصه: "ويؤيد هذا المعنى أن الأئمة عليهم السلام وخواصهم أطلقوا لفظ الناصبي على أبي حنيفة وأمثاله مع أن ابا حنيفة لم يكن ممن نصب العداوة لأهل البيت عليهم السلام بل كان له انقطاع إليهم وكان يظهر لهم التودد".

إذاً ليس النصب عندهم عداوة علي رضي الله عنه إذا ماهو ؟

يجيب عن هذا شيخهم حسين بن الشيخ محمد آل عصفور [2] : "على أنك قد عرفت سابقاً أنه ليس الناصب إلا عبارة عن التقديم على علي غيره".

ولأن أهل السنة يقدمون الثلاثة على علي فهم نواصب أيضاً عند الشيعة وليس هذا استنتاجا من الكلام السابق فقط بل هو ما صرح به هو نفسه حيث يقول [3] : "بل أخبارهم عليهم السلام تنادي بأن الناصب هو ما يقال له عندهم سنيا".

ويقول بهذا الدرازي في الموضع المذكور: "ولا كلام في أن المراد بالناصبة هم أهل التسنن".

هذا هو معنى الناصبي عندهم وسوف يأتي إن شاء الله في معرض كلامهم عن أهل السنة مزيد إيضاح لهذا عن غير من ذكرنا فلا نطيل هنا

من هم العامة عند الشيعة

يقول آية الله العظمى محسن الأمين [4]: "الخاصة وهذا يطلقه أصحابنا على أنفسهم مقابل العامة الذين يسمون بأهل السنة والجماعة".

---

(١) الأنوار النعمانية ٢/٣٠٧ .

(٢) المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخرسانية ص ١٥٧.

(٣) ص ١٤٧ .

(٤) أعيان الشيعة: ١/٢١ .

ويقول عالمهم ومحققهم الشيخ حسين بن شهاب الدين الكركي العاملي المتوفي ١٠٧٦ [١]:

"فذهب إلى الأول جماعة من العامة كالمزني الغزالي والصيرفي ومن الخاصة كالعلامة في أحد قوليه.." .

وهؤلاء من علماء السنة المعروفين

ويقول آية الله العظمى الشيخ فتح الله النمازي الشيرازي [٢]: "وأما الحديث من طرق العامة فقد روى كثير من محدثيهم كالبخاري ومسلم..".

فالعامة إذاً هم أهل السنة

وأما عن المخالف

فيقول محمد بن الحسن الطوسي [٣] : "وأما ما يتضمن من الأربع تكبيرات محمول على التقية لأنه مذهب المخالفين..".

ولاحظ معي أنه لم يقل مذهب بعض المخالفين وكأن اسم المخلفين علم على أهل السنة .

ويقول نعمة الله الجزائري [٤] ما نصه: "أقول هذا يكشف لك عن أمور كثيرة منها بطلان عبادة المخالفين وذلك أنهم وإن صاموا وصلوا وحجوا وزكوا وأتوا من العبادات والطاعات وزادوا على غيرهم إلا أنهم أتوا إلى الله تعالى من غير الأبواب التي أمر بالدخول منها.. وقد جعلوا المذاهب الأربعة وسائط وأبواباً بينهم وبين ربهم وأخذوا الأحكام عنهم وهم أخذوها عن القياسات والاستنباطات والآراء والاجتهاد الذي نهى الله سبحانه عن أخذ الأحكام عنها وطعن عليهم من دخل في الدين منها".

فالمخالفين هم أصحاب المذاهب الأربعة " أهل السنة والجماعة "

---

(١) هداية الأبرار إلى طريق الأئمة الأطهار ص ٢٦٤ .

(٢) قاعدة لا ضرر ولا ضرار ص ٢١ .

(٣) التهذيب (٣/٣١٦) .

(٤) قصص الأنبياء ص٣٤٧ .

وبعد أن اتضحت معاني هذه المصطلحات عندهم إليك أخي مريد الحق حكمهم في أهل الإسلام لتعلم هل من الممكن أن يخون رجل ينتسب لهذا المذهب الدولة السنية وهل إذا زعم أن تدينه بالمذهب الشيعي يمنعه من خيانة الحاكم السني يكون لهذا الزعم رصيد من الصحة

أولاً: كفر من لا يؤمن بولاية الأئمة الاثنى عشر

يرى الشيعة أن الإمامة اصل من أصول الدين وان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نص على اثني عشر إماماً من بعده وأنهم معصومين وتجب طاعتهم وعدم رد قولهم والراد عليهم راد على الرسول ﷺ .

فما هو قولهم بمن لم يقل بهذا القول بل أثنى على هؤلاء الاثنى عشر فقط وعرف لهم حق نسبهم دون ما قالوه من عصمة ووجوب اتباع .

قبل ذكر أقول علماء المذهب في كفر أهل السنة إليك رأي أحد الشخصيتين مجال البحث وهو الخواجة الطوسي حيث يقول الماحوزي[1] .

"وروى ثقة الإسلام في الكافي عن زرارة ، عن الباقر (عليه السلام) أنه قال : أما لو أن رجلا قام ليله وصام نهاره ، وتصدق بجميع ماله ، وحج جميع عمره ، ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ، ويكون جميع أعماله بدلالته إليه ، ما كان له على الله حق في ثوابه ، ولا كان من أهل الإيمان وقد نظم هذا المعنى العلامة الفيلسوف أفضل المتأخرين ورئيس المحققين ، نصير الدين محمد بن محمد الطوسي قدس الله سره وبجنان الخلد سره في هذه القطعة :

لو أن عبدا أتى بالصالحات غدا * وزار كل نبي مرسل وولي

وصام ما صام صواما بلا ملل * وقام ما قام قواما بلا كسل

وحج كم حجة لله واجبة * وطاف بالبيت حاف غير منتعل

---

(١) الأربعين ص ٩٨ .

وطار في الجو لا يأوي إلى أحد * وغاص في البحر مأمونا من البلل

وأكسى اليتامى من الديباج كلهم * وأطعمهم من لذيذ البر بالعسل

وعاش في الناس آلافا مؤلفة * عار من الذنب معصوما من الزلل

فليس في الحشر يوم البعث ينفعه * إلا محبة أمير المؤمنين علي[1]

وفي أعيان الشيعة أيضا[2] قول الطوسي في علي رضي الله عنه :

إذا فاض طوفان المعاد فنحوه****علي وإخلاص الولاء له فلك

إمام إذا لم يعرف المرء قدره **** فليس له حج وليس له نسك .

انظر لغلو علمائهم فضلا عن عامتهم

ومحبة علي ﷺ والتي يطالبنا بها الطوسي هنا والتي من يأت بها لن ينفعه حج ولا نسك ليست كما نفهمها ونعتقدها نحن معشر أهل السنة بل لها ميزان آخر عند الطوسي ينقله لنا الشيعي الماحوزي [3] فيقول :

(وقد قرر المحقق نصير الملة والدين محمد بن محمد الطوسي قدس الله روحه ، فيما نقل عنه دليلا على بغضهم – أي أهل السنة – لأهل البيت (عليهم السلام) هكذا تقريره : المخالفون يبغضون كل من أبغض أبا بكر وعمر وعثمان كائنا من كان ، عرف باسمه ونسبه أم لا ، وأئمتنا (عليهم السلام) أبغضوا أبا بكر وعمر وعثمان بغضا ظاهرا، ونسبوا إليهم جميع الشرور والقبائح التي وقعت بين الأمة، ينتج أنهم يبغضون

---

(١) والأبيات موجودة في كتاب أعيان الشيعة ٩/ ٤١٩ على اختلاف في بعض الكلمات كذلك في كتاب عارف تامر عن الطوسي ص ٦٧ عن كاتب إسماعيلي في القرن السابع وهو نور الدين أحمد في كتابه فصول وأخبار .

(٢) ٩/ ٤١٩ .

(٣) الأربعين ص ٩٩ .

أئمتنا(عليهم السلام). والأولى قطعية ،والثانية متواترة وان أنكرها الخصم، فان الحق لا يخرج بالإنكار عن كونه حقا،وحينئذ يكونون كفارا،كما أوعبنا الكلام فيه في رسالتنا المذكورة ، والله الهادي)

فهكذا يكون جميع أهل السنة كفار عند الطوسي مجدد مذهبهم في القرن السابع !!

وهذا ليس موقفا خاصا بالطوسي بل هو المشهور من المذهب وإليك أقوال علمائهم

يقول رئيس محدثيهم محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الملقب عندهم بالصدوق [1]ما نصه: "واعتقادنا فيمن جحد إمامه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من بعده عليهم السلام أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحدا من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء وأنكر نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله".

وينسب أيضاً إلى النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: "الأئمة من بعدي اثنى عشر أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم القائم طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي من أنكر واحدا منهم قد أنكرني".[2] المصدر نفسه.

ويقول علامتهم على الإطلاق جمال الدين الحسن يوسف بن المطهر الحلي [3]: "الإمامة لطف عام والنبوة لطف خاص لإمكان خلو الزمان من نبي حي بخلاف الإمام لما سيأتي وإنكار اللطف العام شر من إنكار اللطف الخاص وإلى هذا أشار الصادق بقوله عن منكر الإمامة أصلا ورأسا وهو شرهم".

---

(١) رسالة الاعتقادات ص١٠٣ .

(٢) أقوال الصدوق هذه وأحاديثه نقلها عنه علامتهم محمد باقر المجلسي في بحار الأنوار (٢٧/٦١-٦٢) .

(٣) الألفين في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ص١٣) .

ويقول شيخهم ومحدثهم يوسف البحراني[1]: "وليت شعري أي فرق بين من كفر بالله سبحانه وتعالى ورسوله وبين من كفر بالأئمة عليهم السلام مع ثبوت كون الإمامة من أصول الدين".

ويقول حكيمهم ومحققهم وفيلسوفهم محمد محسن المعروف بالفيض الكاشاني[2] : "ومن جحد إمامه أحدهم – أي الأئمة الاثنى عشر – فهو بمنزلة من جحد نبوة جميع الأنبياء عليهم السلام".

ويقول الملا محمد باقر المجلسي [3]: "إعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام وفضل عليهم غيرهم يدل أنهم مخلدون في النار".

فعلى هذا فأهل السنة جميعا عندهم مخلدون !!

ويقول شيخهم محمد حسن النجفي[4] : "والمخالف لأهل الحق كافر بلا خلاف بيننا .. كالمحكي عن الفاضل محمد صالح في شرح أصول الكافي بل والشريف القاضي نور الله في إحقاق الحق من الحكم بكفر منكري الولاية لأنها أصل من أصول الدين".

فلاحظ كيف أن منكر الولاية أي الإمامة كافر بلا خلاف بينهم أي أن أهل السنة كفار عند الشيعة بلا خلاف بينهم.

---

(١) في موسوعته المعتمدة عند الشيعة (الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة ج١٨ ص١٥٣ ط دار الأضواء بيروت لبنان) .

(٢) منهاج النجاة (ص٤٨ ط دار الإسلامية بيروت ١٩٨٧م) .

(٣) بحار الأنوار (٣٩٠/٢٣) .

(٤) في جواهر الكلام (٦٢/٦)ط دار إحياء التراث العربي بيروت.

ويقول آية الله الشيخ عبد الله المامقاني الملقب عندهم بالعلامة الثاني[1] : "وغاية ما يستفاد من الأخبار جريان حكم الكافر والمشرك في الآخرة على كل من لم يكن اثنى عشري".

وأورد الخميني [2]: عن محمد بن مسلم الثقفي قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام عن قول الله عز وجل: فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيماً (الفرقان: ٧٠). فقال : "يؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتى يقام بموقف الحساب فيكون الله تعالى هو الذي يتولى حسابه لا يطلع على حسابه أحداً من الناس فيعرفه ذنوبه حتى إذا أقر بسيئاته قال الله عز وجل للكتبة: بدلوها حسنات وأظهروها للناس فيقول الناس حينئذ ما كان لهذا العبد سيئة واحدة ! ثم يأمر الله به إلى الجنة فهذا تأويل الآية وهي في المذنبين من شيعتنا خاصة".

ويعلق الخميني على هذه الرواية فيقول[3]: ومن المعلوم أن هذا الأمر يختص بشيعة أهل البيت ويحرم عنه الناس الآخرون لأن الإيمان لا يحصل إلا بواسطة ولاية علي وأوصيائه من المعصومين الطاهرين عليهم السلام بل لا يقبل الإيمان بالله ورسوله من دون الولاية كما نذكر ذلك في الفصل التالي".

ويقول الخميني [4]"إن ما مر في ذيل الحديث الشريف من أن ولاية أهل البيت ومعرفتهم شرط في قبول الأعمال يعتبر من الأمور المسلمة بل تكون من ضروريات مذهب التشيع المقدس وتكون الأخبار في هذا الموضوع أكبر من طاقة مثل هذه الكتب المختصرة على استيعابها وأكثر من حجم التواتر ويتبرك هذا الكتاب بذكر بعض تلك الأخبار".

---

(١) تنقيح المقال (٢٠٨/١) .

(٢) الأربعون حديثا ص٥١٠ – ٥١١ .

(٣) كتابه السابق ص٥١١ .

(٤) الكتاب السابق ص٥١٢ .

فلاحظ إن الولاية التي يختص بها الشيعة من العقائد الأساسية التي لا يتزحزح عنها الشيعة إلى يوم يبعثون وهي أكثر عندهم من حجم التواتر كما يقرر الخميني ولا تقبل الأعمال إلا بها بل ولا يقبل الإيمان بالله ورسوله إلا بها

فاستمع إلى الخميني وهو يقرر ذلك بصراحة ووضوح[1] فيقول: "والأخبار في هذا الموضوع وبهذا المضمون كثيرة ويستفاد من مجموعها أن ولاية أهل البيت عليهم السلام شرط في قبول الأعمال عند الله سبحانه بل هو شرط في قبول الأيمان بالله والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم".

ويقول علامتهم عبد الله شبر الذي يلقب عندهم بالسيد الأعظم والعماد الأقوم علامة العلماء وتاج الفقهاء رئيس الملة والدين جامع المعقول والمنقول مهذب الفروع والأصول [2]: "وأما سائر المخالفين ممن لم ينصب ولم يعاند ولم يتعصب فالذي عليه جملة من الإمامية كالسيد المرتضي أنهم كفار في الدنيا والآخرة والذي عليه الأكثر الأشهر أنهم كفار مخلدون في الآخرة".

وقال المفيد في المسائل[3] :"اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار".

ثانياً: إباحة دماء أهل السنة

ونبدأ بيان مذهبهم في دماء المسلمين بذكر رأي الطوسي نفسه والذي سبق نقل قوله بكفر أهل السنة وانظر الى جعل استباحة دماء المسلمين من الواضحات التي لا تستحق تضيع العمر في الجدال حولها

حيث قال الجواهري من علمائهم[1]في نقاشه مع من لم يرى جواز غيبة المخالف

---

(١) الكتاب السابق ص٥١٣ .

(٢) حق اليقين في معرفة أصول الدين ١٨٨/٢ طبع بيروت .

(٣) نقلا عن بحار الأنوار للمجلسي (٣٩١/٢٣) .

". وما أبعد ما بينه وبين الخاجا نصير الدين الطوسي والعلامة الحلي وغيرهم ممن يرى قتلهم ، ونحوه من أحوال الكفار ، حتى وقع منهم ما وقع في بغداد ونواحيها ، وبالجملة طول الكلام في ذلك كما فعله في الحدائق من تضييع العمر في الواضحات ..... "

يقول علامتهم المتتبع كما وصفوه الميرزا محمد باقر الموسوي الخونساري الأصبهاني[٢]في ترجمة نصير الدين الطوسي ما نصه: "هو المحقق المتكلم الحكيم المتبحر الجليل ... ومن جملة أمره المشهور المعروف المنقول حكاية استيزار للسلطان المحتشم في محروسة إيران هولاكو خان بن تولي جنكيز خان من عظماء سلاطين التاتارية وأتراك المغول ومجيئه في موكب السلطان المؤيد مع كمال الاستعداد إلى دار السلام بغداد لإرشاد العباد وإصلاح البلاد وقطع دابر سلسلة البغي والفساد وإخماد دائرة الجور والإلباس بإبداد دائرة ملك بني العباس وإيقاع القتل العام من أتباع اولئك الطغاة إلى أن أسال من دمائهم الأقذار كأمثال الأنهار فانهار بها في ماء دجلة ومنها إلى نار جهنم دار البوار ومحل الأشقياء والأشرار".

نسأل الله العلي العظيم ألا يسلطهم على رقاب المسلمين.

أقول علماؤهم

روى شيخهم محمد بن علي بن بابوية القمي[٣] عن داود بن فرقد قال: "قلت لأبي عبد الله : ما تقول في قتل الناصب؟ قال: حلال الدم ولكني أتقى عليك فإن قدرت أن تقلب عليه حائطاً أو تغرقه في ماء لكيلا يشهد به عليك فافعل، قلت: فما ترى في ماله؟ قال:

---

(١) جواهر العلم ٦٢/٢٢ .

(٢) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات١/٣٠٠ – ٣٠١ منشورات مكتبة إسماعيليان قم إيران .

(٣) علل الشرايع ص٦٠١ .

تَوَّه ما قدرت عليه" وذكر هذه الرواية الخبيثة شيخهم الحر العاملي في وسائل الشيعة[1]و نعمة الله الجزائري في الأنوار النعمانية[2]إذ قال: "جواز قتلهم (أي النواصب) واستباحة أموالهم".

فالعلة هنا هي الحرص على عدم وقوع الشيعي تحت طائلة الشرع فيقتص منه

وقد نقل القول بأن استباحة مال ودم أهل السنة هو قول الشيعة سلفا وخلفا يوسف البحراني[3]فقال ما نصه: "إن إطلاق المسلم على الناصب وأنه لا يجوز أخذ ماله من حيث الإسلام خلاف ما عليه الطائفة المحقة سلفا وخلفا من الحكم بكفر الناصب ونجاسته وجواز أخذ ماله بل قتله".

ويقول نعمة الله الجزائري [4]: "يجوز قتلهم (أي النواصب) واستباحة أموالهم".

ويقول يوسف البحراني [5]: "وإلى هذا القول ذهب أبو الصلاح، وابن إدريس، وسلار، وهو الحق الظاهر بل الصريح من الأخبار لاستفاضتها وتكاثرها بكفر المخالف ونصبه وشركه وحل ماله ودمه كما بسطنا عليه الكلام بما لا يحوم حوله شبهة النقض والإبرام في كتاب الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب وما يترتب عليه من المطالب".

وعندما كتب الشيخ عبد المنعم النمر عن الشيعة تعرض لتهديد ووعيد منهم وقد ذكر هذا في كتابه "الشيعة المهدي الدروز تاريخ ووثائق" [6].

---

(١) ١٨/٤٦٣ .

(٢) ٢/٣٠٧ .

(٣) الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة: ١٢/٣٢٣-٣٢٤.

(٤) الأنوار النعمانية: ٢/٣٠٧ .

(٥) في الحدائق الناضرة: ١٠/٣٦٠ .

(٦) ص ١٠ .

إن الشيعة يكنون البغض والعداء والكراهية لأهل السنة ولكنهم لا يجاهرون بهذا العداء بناء على عقيدة التقية الخبيثة بمجاملتهم لأهل السنة وإظهار المودة الزائفة، وهذا جعل أهل السنة لا يفطنون إلى موقف الشيعة الحقيقي وفي هذا يقول الدكتور عبد المنعم النمر [1]: "ولكننا نحن العرب السنيين لا نفطن إلى هذا بل ظننا أن السنين الطويلة قد تكفلت مع الإسلام بمحوه وإزالته فلم يخطر لنا على بال فشاركنا الإيرانيين فرحهم واعتقدنا أن الخميني سيتجاوز أو ينسى مثلنا كل هذه المسائل التاريخية ويؤدي دوره كزعيم إسلامي لأمة إسلامية يقود الصحوة الإسلامية منها وذلك لصالح الإسلام والمسلمين جميعاً لا فرق بين فارسي وعربي ولا بين شيعي وسني ولكن اظهرت الأحداث بعد ذلك أننا كنا غارقين في أحلام وردية أو في بحر آمالنا مما لا يزال بعض شبابنا ورجالنا غارقين فيها حتى الآن برغم الأحداث المزعجة" .

وما مقتل الشيخ إحسان إلهي ظهيرمع ثمانية عشر مسلم في ١٤٠٧/٧/٢٣ أثناء انعقاد ندوة لعلماء الحديث في لاهور إلا من قبيل استباحة دماء من خالفهم ورد عليهم باطلهم

ثالثاً: إباحة أموال أهل السنة

وأما إباحة أموال أهل السنة فورد شيء منها في حكمهم في دماء المسلمين وجاء من كلامهم أيضا .

ما رووه عن ابي عبد الله أنه قال: "خذ مال الناصب حيث ما وجدته وادفع إلينا الخمس" [2] أخرج هذه الرواية شيخ طائفتهم أبو جعفر الطوسي في تهذيب الأحكام

---

(١) كتابه المؤامرة على الكعبة من القرامطة إلى الخميني ص١١٨ طبع مكتبة التراث الإسلامي القاهرة .

(٢) ١٢٢/٤ .

والفيض الكاشاني في الوافي [1] ونقل هذا الخبر شيخهم الدرازي البحراني في المحاسن النفسانية[2]ووصفه أنه مستفيض.

وبمضمون هذا الخبر أفتى مرجعهم الكبير روح الله الخميني[3]بقوله: "والأقوى إلحاق الناصب بأهل الحرب في إباحة ما اغتنم منهم وتعلق الخمس به بل الظاهر جواز أخذ ماله أين وجد وبأي نحو كان ووجوب إخراج خمسه". ونقل هذه الرواية أيضاً محسن المعلم في كتابه (النصب والنواصب)[4]يستدل فيها على جواز أخذ مال أهل السنة لأنهم نواصب في نظر هذا الضال.

إن أسلوب الغش والسرقة والنصب والاحتيال وغيرها من الوسائل المحرمة جائز عند الخميني مع أهل السنة بدليل قوله: (وبأي نحو كان).

رابعاً: نجاسة أهل السنة عند الشيعة

يقول مرجعهم الأسبق محمد كاظم الطباطبائي [5]: "لا إشكال في نجاسة الغلاة والخوارج والنواصب".

وقد مر معك معنى النواصب عندهم

ويقول علامتهم آية الله الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي[6]: "والخوارج والغلاة والناصب وهو الذي يتظاهر بعداوة أهل البيت عليهم السلام أنجاس".

---

(١) ٤٣/٦ ط دار الكتب الإسلامية بطهران .

(٢) ص١٦٧ .

(٣) تحرير الوسيلة :٣٥٢/١ .

(٤) ص٦١٥ .

(٥) العروة الوثقى :٦٨/١ .

(٦)نهاية الأحكام في معرفة الأحكام (٢٧٤/١) .

ويقول آيتهم العظمى الخميني [1]: "وأما النواصب والخوارج لعنهم الله تعالى فهما نجسان من غير توقف".

ويقول الخميني[2]: "غير الاثنى عشرية من فرق الشيعة أذ لم يظهر منهم نصب ومعاداة وسب لسائر الأئمة الذين لا يعتقدون بإمامتهم طاهرون وأما مع ظهور ذلك منهم فهم مثل سائر النواصب".

لاحظ أخي القارئ كيف أن غير الاثنى عشرية من فرق الشيعة طاهر وأما أهل السنة فلم يذكرهم لأنهم أنجاس قطعا

وروى الصدوق [3] عن أبي بصير عن أبي عبد الله قال: "إن نوحا حمل في السفينة الكلب والخنزير ولم يحمل فيها ولد الزنا والناصب شر من ولد الزنا".

يقول آيتهم العظمى الحاج السيد محمد رضا الكلبايكاني[4]: "ناصب العداوة لأحد من المعصومين الأربعة عشر سلام الله عليهم أو الساب له نجس وإن أظهر الإسلام ولا إشكال في كفر الغلاة ونجاستهم وهم المعتقدون بألوهيته أمير المؤمنين وكذا الخوارج والنواصب".

أقول: لاحظ أنه ذكر النصب الذي فيه عداء لأهل البيت وسب لهم رضي الله عنهم وهم النواصب المعروفون في التاريخ ولا يوجد أحد منهم اليوم ثم جاء لذكر نواصب من نوع آخر ومنهم الخوارج بقوله وكذا .. أي أهل السنة وقد سبق بيان أن الناصب عندهم هو السني

---

(١) تحرير الوسيلة (١/١١٨).

(٢) في تحرير الوسيلة (١/١١٩) .

(٣) في كتابه المذكور (الصفحة نفسها) .

(٤) مختصر الأحكام ص٩ .

يقول شيخهم يوسف البحراني[1]: "ولا يخفى ما في هذا الاستدلال من الضعف والوهن لدلالة الأخبار المستفيضة بل المتواترة معنى كما أوضحناه في الرسالة المشار إليها على كفر المخالف الغير مستضعف ونصبه ونجاسته ولا ريب أن هذين الخبرين يقصران عن معارضة تلك الأخبار سنداً وعددا ودلالة فالواجب حملها إما على التقية وهو الأظهر بقرينة الرواة فيهما أو تخصيصها بما عدا المخالف كما أنه يجب تخصيصها بما عدا الغالي والخوارج والنواصب بالمعنى المشهور بين الأصحاب فإنهم لا يختلفون في كفر الجميع".

إذا فالروايات والأقوال التي لا تقول بكفر ونجاسة المخالف تحمل على التقية وكذلك لعله ما يسمع منهم الآن ولا أريد التعميم فمنهم الصادق ولكن الصادق يظهر بمواقفه الصلبه تجاه الأقوال التي تفرق الأمة

ويقول نعمة الله الجزائري [2]"وأما الناصب وأحواله، فهو بما يتم ببيان أمرين:

الأول: في بيان معنى الناصبي الذي ورد في الأخبار أنه نجس، وأنه أشر من اليهودي والنصراني والمجوسي وأنه كافر نجس بإجماع علماء الإمامية رضوان الله عليهم".

خامسا :حكمهم في العمل لدى حكام أهل السنة

علمنا فيما سابق قول الشيعة بأن أهل السنة كفار لمخالفتهم المعلوم بالدين بالضرورة- عندالشيعة - ومنهم حكامهم وسلاطينهم بل الأمر في السلاطين أعظم حيث أنهم تولوا المنصب المسلوب عن الإمام الذي هو سبب تكفير من لم يقر لإمامهم به فكيف بمن تولى هذا المنصب واستولى عليه

إذاً ما حكم العمل لدى سلاطين أهل السنة ؟

فصَّل هذه المسألة وبيَّنَ الأقوال فيها المحقق البحراني[1] قال : (المسألة الثالثة في معونة الظالمين والمشهور في كلام الأصحاب ، تقييدها بما يحرم ، و أما ما لا يحرم كالخياطة لهم

---

(١) شرح الرسالة الصلاتية ص٣٣٤ .

(٢) الأنوار النعمانية : ٢/٣٠٦.

والبناء ونحو ذلك فانه لا بأس به . قال في الكفاية : ومن ذلك معونة الظالمين بما يحرم ، أما ما لا يحرم كالخياطة وغيرها فالظاهر جوازه . لكن الأحوط الاحتراز عنه لبعض الأخبار الدالة على المنع ، وقوله تعالى : " ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار " قال في مجمع البيان : فقيل معناه : ولا تميلوا إلى المشركين في شئ من دينكم ، عن ابن عباس وقيل : لا تداهنوا الظلمة ، عن السدي وابن زيد قيل : إن الركون إلى الظالمين المنهي عنه ، هو الدخول معهم في ظلمهم ، وإظهار موالاتهم ، و أما الدخول عليهم ومعاشرتهم دفعا لشرهم فجائز . عن القاضي . وقريب منه ما روى عنهم – عليهم السلام – : إن الركون هو المودة والنصيحة والطاعة لهم انتهى .

أقول : الظاهر من الأخبار الواردة في هذا المقام ، هو عموم تحريم معونتهم . بما يحرم وما لا يحرم .)

ثم ذكر أدلة الأقوال حتى قال : (أقول : لا يخفى ما في هذه الأخبار ، باعتبار ضم بعضها إلى بعض ، من التدافع والتمانع .

ومجمل القول فيها : أنه لاشك أنه قد علم من الأخبار المتقدمة حرمة الدخول في أعمالهم على أوكد وجه ، بل مجرد محبتهم والركون إليهم وحب بقائهم ، فضلا عن مساعدتهم و أعانتهم بالأعمال ،

إلا أن الأخبار الدالة على الجواز ظاهرة فيه بالقيود المذكورة فيها ،.

والتحقيق في ذلك : أن هنا مقامات ثلاثة :

(الأول) : أن يدخل في أعمالهم لحب الدنيا ، وتحصيل لذة الرياسة ، والأمر والنهى . وهو الذي يحمل عليه أخبار المنع .

(الثاني) : أن يكون كذلك ، ولكن يمزجه بفعل الطاعات وقضاء حوائج المؤمنين وفعل الخيرات . وهذا هو الذي أشير إليه في الأخبار المتقدمة ، كما عرفت من قوله عليه السلام : ذا بذا . وقوله : واحدة بواحدة . وقوله : وهو أقلهم حظا . ونحو ذلك .

---

(١) كتاب الحدائق الناضرة:١٨/١١٨ وما بعدها .

(الثالث) : أن يكون قصده من الدخول فيها ، إنما هو محض فعل الخير ، و دفع الأذى عن المؤمنين ، واصطناع المعروف إليهم ، وهو الفرد النادر وأقل قليل ، حتى قيل إنه من قبيل إخراج اللبن الخالص من بين فرث ودم . ويشير إلى هذا الفرد عجز حديث السرائر المتقدم

وعلى هذا يحمل دخول مثل الثقة الجليل علي بن يقطين ، ومحمد بن إسماعيل بن بزيع ، و أمثالهما من إجلاء الرواة عنهم ، النجاشي المتقدم ذكره ، وكذلك جملة من علمائنا الأعلام ، كالمرتضى والمحقق الخواجه نصير الدين والملة ، وآية الله العلامة الحلي ، ومن المتأخرين المحقق الثاني في سلطنة الشاه إسماعيل ، وشيخنا البهائي ، وشيخنا المجلسي ، و نحوهم عطر الله مراقدهم . مع تسليم دعوى العموم . وبذلك

يزول الإشكال والله العالم . } انتهى كلام البحراني في الحدائق

قال الخميني[1] : (ونتيجة هذه الطوائف : أن التولي وتقلد الأمر من أعظم المحرمات الإلهية ، التي لا تترخص إلا في مواقف التقية والضرورة ، مع لزوم جبر المفسدة الواقعة فيها بالأعمال الصالحة ، وقضاء حوائج الشيعة ، فـ (إن الحسنات يذهبن السيئات) كما في رواية مفضل بن مريم ، وكفارة عمل السلطان قضاء حوائج الإخوان كما في الفقيه ، وما ورد في ترخيص الدخول في ولاياتهم ومناصبهم كثيرا على مبنى التقية حتى عن مثل زرارة ، كما في صحيحة الوليد بن صبيح ، ولاسيما إن المسألة في نهاية الدقة في الحفظ على دمائهم ودماء أصحابهم . ودخول مثل علي بن يقطين للإذن الخاص ولمصالح عالية مؤقتة.

وبالجملة : تصدي أمور الممالك محرم ، والإعانة على هذا الظلم العظيم محرم بأن يتصدى الولايات والمناصب حتى على الشيعة ، والاستثناء ينحصر بصورة التقية والضرورة ، راعيا مصالح الأمة حال الاشتغال .

---

(١) مستند تحرير الوسيلة : ٤٨٨/١ ، وانظر ص ٤٩٦/١.

ولا معنى لان يكون المستثنى في المقام مستحبا لما تقرر : أن الاستثناء عن العناوين المقبحة لا يعقل ، إلا فيما زاحم الملاك الأقوى البالغ حد الإيجاب ، والسر كل السر أن الشقاوة والسعادة الدنيوية والأخروية تنشأ عن الخلافة الصحيحة والسلطنة العادلة ، والفاسدة الظالمة ، وجميع الخيرات والشرور مربوطة بهما ، وعندئذ يجب بحكم العقل إيجاد هذه واقتناء ذاك ولو بالسياسة المنفية ، التي هي المنساق من مآثير المسألة بعد التدبر والتأمل . هذا كله حول السطان الجائر المدعي للخلافة الإسلامية ، الذي هو القدر المتيقن من الأدلة حسب زمان صدورها . وأما من يتصدى الممالك الاسلامية من غير الادعاء المذكور ، فهو عندي أيضا من الفساق في تقلده ، لما تقرر منا أنه حق الفقهاء "

وقد أفرد الحر العاملي في كتابه " وسائل الشيعة: ١٢/١٣٥ وما بعدها عدة أبواب لهذه القضية منها :

الباب ٤٥- باب تحريم الولاية من قبل الجائر إلا ما استثني وقد ذكر فيه ١٢ رواية

الباب ٤٦ –باب جواز الولاية من قبل الجائر لنفع المؤمنين والدفع عنهم... وقد ذكر فيه ١٧ رواية

الباب ٤٧- باب وجوب رد المظالم إلى أهلها إن عرفهم وإلا تصدق بها وقد ذكر فيه رواية واحدة

الباب ٤٨- باب جواز قبول الولاية من قبل الجائر مع الضرورة والخوف وقد ذكر فيه ١٠ روايات

فيلاحظ مما سبق أن الأصل هو المنع لأن أهل السنة وحكامهم كفرة وهذا لان الخلافة حق نصي للإمام فمن تولاها أو رضي بمن تولاها غير الإمام فهو كافر كما سبق في تكفيرهم لأهل السنة ولهذا لا يجوز تولي المناصب في دولتهم إلا في الاستثناءات التي وردت وهي

*خوف انكشاف مذهبهم في تكفير الدولة " كالذي خاف حتى لا يكشف الخليفة ترفضه

*أو جلب النفع للمؤمنين –وهم أتباع مذهبهم فقط – كما فعل ابن يقطين برد أموال الشيعة بعد أخذها في الظاهر

*أو إلحاق الضرر بأهل السنة وفي مقدمتهم حاكمهم كما مر في الذي يستأذن في أخذ أموال أهل السنة والتشفي منهم

وأنظر كيف ذكر البحراني أن الطوسي كان ممن ألتزم في دخوله في خدمة هولاكو بما في مذهبه ولعل قائل أن يقول أنه كان خائف وهذا يأتي جوابه في رد هذا الجواب ولكن ما الجواب عن ابن العلقمي ولماذا تولى الوزارة أهو خوفا من الخليفة وهذا لم يذكره أحد ولماذا يكرهه الخليفة على الوزارة ؟!! أم كان توليه خدمة لمذهبه

ولكن قبل مغادرة هذا الباب نأخذ مثالا على أحد هؤلاء الوزارء الذي حازوا على رضى علماء الشيعة حتى أصبح مضرب مثالا للوزير الصالح ألا وهو " علي بن يقطين .

علي بن يقطين

كان وزيرا للخليفة العباسي هارون الرشيد رحمه الله تعالى

يقول البحراني [1]عن منزلته لدى الشيعة "ومنها – الأخبار –: ما يدل على إنه ينال بذلك الحظ الأوفر والمنزلة العليا ، كما يدل عليه كلام الرضا عليه السلام في رواية الكشي. وأخبار على بن يقطين وعلو مرتبته عند الكاظم عليه السلام. .... ويؤيده خبر منع الكاظم عليه السلام لعلى بن يقطين عن الخروج من أعمالهم"

ويقول البحراني[2] "وعلى هذا – الذين قصدهم في العمل لسلاطين أهل السنة الخير لمذهبهم فقط– يحمل دخول مثل الثقة الجليل على بن يقطين ، ومحمد بن إسماعيل بن بزيع ، و أمثالهما من إجلاء الرواة ....."

---

(١) الحدائق الناضرة: ١٨/١٣٢.

(٢) ص ١٣٣ .

وجاء في مقدمة كتاب – الرسائل العشر– الشيخ الطوسي [1]

: "إن المكانة التي أحرزها الشيعة في بغداد كان الفضل يعود فيها بشكل أساسي إلى رجال كانت لهم منزلة وشأن من أمثال علي بن يقطين"

يقول الخميني [2] ما نصه: "وإذا كانت ظروف التقية تلزم أحدا منا بالدخول في ركب السلاطين فهنا يجب الامتناع عن ذلك حتى لو أدى الامتناع إلى قتله إلا أن يكون في دخوله الشكلي نصر حقيقي للإسلام والمسلمين مثل دخول علي بن يقطين ونصير الدين الطوسي رحمهما الله".

وروى الحر العاملي [3]عن على بن يقطين ، قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام : ما تقول في أعمال هؤلاء ؟ قال : إن كنت لابد فاعلا فاتق أموال الشيعة ، قال : فاخبرني على ، انه كان يجبيها من الشيعة علانية ويردها عليهم في السر.

فهو هنا يرد على الرافضة أموالهم و أما أهل السنة فلهم حكم آخر وهذا أحد أسباب جواز الدخول عندهم كما سبق

فإليك عمل آخر من أعمال هذا الوزير الجليل! و المثل الأعلى والقدوة الصالحة لمن أراد الدخول في خدمة سلاطين أهل السنة

فيقول نعمة الله الجزائري[4] : "وفي الروايات أن علي بن يقطين وهو وزير الرشيد فد اجتمع في حبسه جماعة من المخالفين وكان من خواص الشيعة فأمر غلمانه وهدوا سقف الحبس على المحبوسين فماتوا كلهم وكانوا خمسمائة رجل تقريبا فأراد الخلاص من تبعات دمائهم فأرسل إلى الإمام مولانا الكاظم فكتب عليه السلام إليه جواب كتابه بأنك لو كنت

---

(١) ص ١٩ .

(٢) الحكومة الإسلامية ص ١٤٢ .

(٣) وسائل الشيعة ١٢/ ١٤٠ .

(٤) الأنوار النعمانية (٢/٣٠٨ طبع تبريز إيران) .

تقدمت إلي قبل قتلهم لما كان عليك شيء من دمائهم وحيث أنك لم تتقدم إلي فكفر عن كل رجل قتلته منهم بتيس والتيس خير منه فانظر إلى هذه الدية الجزيلة التي لا تعادل دية أخيهم الأصغر وهو كلب الصيد فإن ديته عشرون درهما ولا دية أخيهم الأكبر وهو اليهودي أو المجوسي فإنها ثمانمائة درهم وحالهم في الآخرة أخس وابخس". ونقل هذه الرواية أيضاً محسن المعلم [1]ومع هذا فهو وزير أمين صالح !! ولعل أمانة وصلاح ابن العلقمي كهذه الأمانة والصلاح ؟!!!

سادسا : التقية عند الشيعة وعدم مجاهرتهم بمعتقداتهم

لماذا الكلام في التقية

إن الباحث في عقائد ومبادىء المذهب الشيعي يظهر له بجلاء التناقضات الموجودة فيه والتي تمس الأسس التي قام عليها المذهب بل لعلها تشمل غالب المذهب وهذا الكلام قال به علماء من كبار القوم وهو الواقع المشاهد فمن هذه الاعترافات

قول دلدار علي: إن الأحاديث المأثورة عن الأئمة مختلفة جدا لا يكاد يوجد حديث إلا وفي مقابله ما ينافيه و لا يتفق خبر إلا وبإزائه ما يضاده حتى صار ذلك سببا لرجوع بعض الناقصين عن اعتقاد الحق[2] .

وقال أيضا الطوسي: ذاكرني بعض الأصدقاء بأحاديث أصحابنا وما وقع فيها من الاختلاف والتباين والتضاد حتى لا يكاد يسلم خبر إلا وبإزائه ما يضاده ولا يسلم حديث إلا وفي مقابله ما ينافيه حتى جعل مخالفونا ذلك من أعظم الطعون على مذهبنا[3] .

ثم إذا نظر الباحث في الأسباب التي اختفت وراءها هذه التناقضات وجد من أبرزها على الصعيد الفكري القول بالتقية وهناك غيرها لكن ليس بيانها مجال البحث هنا وان كانت جديرة بالبحث فما هي هذه التقية

---

(١)النصب والنواصبص٦٢٢ط. دار الهادي .

(٢) أساس الأصول ٥١ نقلا عن حقيقة الشيعة٣٦.

(٣) مقدمة تهذيب الأحكام.

قال تعالى :" {لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ "٢٨ " قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " {٢٩ال عمران }

وقال تعالى : " مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ " {النحل١٠٦ }

من هذه الآيات يتبين لنا أن التقية التي أباحها الله هي في نطاق ضيق حتى أنها جاءت في معرض الذم لمن يتولى الكفار ولم تأت مستقلة مما يشعرك بضيق مجالها فلا يمكن أن تكون التقية منهجا عاما ملازما للمسلم في حياته حيث أن مقتضى الالتزام بها دائما عدم وضوح الحق وبالتالية لايتحقق الهدف من بعث الرسل عليهم السلام ولا يمكن لداعية أن يدعو للإسلام لان مما يعلم ضرورة أنه ما من دعوة إلا وتجابه بالحرب والصد فمتى يظهر الحق ويعلو إذا اتقى الداعية لأي خوف واجهه به الطغاة والناس

وأنا بهذه المناسبة أدعو الشباب المثقف الواعي من أبناء الشيعة والذي يريد حقيقة إتباع مذهب آل بيت النبي صلى الله عليهوآله وسلم والذي لم يدفعه للتمسك بما ينسب لهم زورا وبهتانا المنصب أو المال أو الجاه أو التعصب للموروث عن الآباء دون تثبت

أدعو هؤلاء إلي القراءة الفاحصة والناقدة للكتب المعتمدة في المذهب وإلى أقوال وعقائد المذهب وبالأخص التأمل جيدا في إجابات علماء المذهب عن تناقضات المذهب ومدى وضوحها وتناسقها مع القرآن والعقل والوقائع التاريخيةالتي لايختلف عليها وبهذا إخوتي تتم الوحدة الحقة

عرفنا التقية في القرآن لكن ماهي التقية عند الشيعة

هي التظاهر بعكس الحقيقة، وهي تبيح للشيعي خداع غيره فبناء على هذه التقية ينكر الشيعي ظاهراً ما يعتقده باطناً، وتبيح له أن يتظاهر باعتقاد ما ينكره باطناً، ولذلك تجد الشيعة ينكرون كثيراً من معتقداتهم أمام أهل السنة ومنها موقفهم من دماء أهل السنة وتكفيرهم و حكم التعاون مع سلاطينهم

يقول الشيخ محب الدين الخطيب – رحمه الله تعالى –: "وأول موانع التجاوب الصادق بإخلاص بيننا وبينهم ما يسمونه التقية فإنها عقيدة دينية تبيح لهم التظاهر لنا بغير ما

يبطنون، فينخدع سليم القلب منا بما يتظاهرون له به من رغبتهم في التفاهم والتقارب وهم لا يريدون ذلك ولا يرضون به، ولا يعلمون له، إلا على أن يبقى من الطرف الواحد مع بقاء الطرف الآخر في عزلته لا يتزحزح عنها قيد شعرة"[1] .

ولبيان حقيقتها ومنزلتها لديهم أقرأ معي هذه النصوص

يقول شيخهم ورئيس محدثيهم محمد بن علي بن الحسين الملقب بالصدوق[2]

"واعتقادنا في التقية أنها واجبة من تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة .. والتقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم فمن تركها قبل خروجه فقد خرج من دين الله وعن دين الإمامية وخالف الله ورسوله والأئمة".

ومما جاء فيها ما رواه الكليني[3] عن معمر بن خلاد قال: سألت أبا الحسن عن القيام للولاة فقال: قال أبو جعفر : "التقية من ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له".

وروى في الأصول من الكافي [4]عن أبي عبد الله أنه قال: "يا أبا عمر إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له، والتقية في كل شيء إلا في النبيذ والمسح على الخفين".

وروى أيضا [5] الكليني عن الصادق قال: "سمعت أبي يقول: لا والله ما على وجه الأرض شيء أحب إليَّ من التقية، يا حبيب إنه من كانت له تقية رفعه الله، يا حبيب من لم تكن له تقية وضعه الله، يا حبيب إن الناس إنما هم في هدنة فلو قد كان ذلك كان هذا".

---

(١) الخطوط العريضة ص ١٠ .

(٢) رسالة الاعتقادات ص ١٠٤ط. مركز نشر الكتاب إيراني ١٣٧٠هـ .

(٣) الكافي – باب التقية – (٢/٢١٩) .

(٤) ٢/٢١٧ .

(٥) الكافي (٢/٢١٧) .

وروى [١]عن أبي يعبد الله قال: "التقية ترس الله بينه وبين خلقه".

وروى [٢]عن أبي عبدي الله قال: "... أبى الله عز وجل لنا ولكم في دينه إلا التقية".

وروى [٣]عن أبي عبد الله قال: "كان أبي يقول: أي شيء أقر لعيني من التقية إن التقية جُنة المؤمن".

وروى الكليني[٤]والفيض الكاشاني [٥]عن أبي عبد الله قال: من استفتح نهاره بإذاعة سرنا سلط عليه حر الحديد وضيق المجالس.

وفي الكافي [٦]والرسائل للخميني[٧]عن سليمان بن خالد قال: قال أبو عبد الله : "يا سليمان إنكم على دين من كتمه أعزه الله ومن أذاعه أذله الله".

وروى الحر العاملي [٨]عن أمير المؤمنين قال: "التقية من أفضل أعمال المؤمنين" وفي وسائل وسائل الشيعة [٩]عن علي بن الحسين قال: يغفر الله للمؤمن كل ذنب ويطهره منه في الدنيا والآخرة ما خلا ذنبين: ترك التقية وتضييع حقوق الإخوان".

---

(١) ٢٢٠/٢ .

(٢) ٢١٨/٢ .

(٣) ٢٢٠/٢ .

(٤) الكافي (٣٧٢/٢) .

(٥) الوافي : ١٥٩/٣ دار الكتب الإسلامية طهران .

(٦) ٢٢٢/٢.

(٧) ١٨٥/٢ .

(٨) وسائل الشيعة (٤٧٣/١١) .

(٩) ٤٧٤/١١ .

وفي جامع الأخبار لشيخهم تاج الدين محمد بن محمد الشعيري [1]عن النبي : "تارك التقية كتارك الصلاة". !!

وفي وسائل الشيعة [2]عن الصادق قال: "ليس منا من لم يلزم التقية".

ويقول **الخميني**[3]: "فتارة تكون التقية خوفاً وأخرى تكون مداراة .. والمراد بالمدارة أن يكون المطلوب فيها نفس شمل الكلمة ووحدتها بتحبيب المخالفين وجر مودتهم من غير خوف ضرر كما في التقية خوفاً وسيأتي التعرض لها وأيضاً قد تكون التقية مطلوبة لغيرها وقد تكون مطلوبة لذاتها وهي التي بمعنى الكتمان في مقابل الإذاعة على تأمل فيه".

أقول: لاحظ مداهنة الرجل في قوله: "... بتحبيب المخالفين وجر مودتهم من غير خوف ضرر.

ولاحظ أنه يجيزها هنا من غير خوف ضرر فتأمل وإذا كان المخالفون أخوة له في الدين فلم استعمال التقية معهم؟

ويقول الخميني [4]أيضا : "ومنها ما شرعت لأجل مداراة الناس وجلب محبتهم ومودتهم ... ... ومنها التقسيم بحسب المتقي منه فتارة تكون التقية من الكفار وغير المعتقدين بالإسلام سواء كانوا من قبل السلاطين أو الرعية وأخرى تكون من سلاطين العامة وأمرائهم وثالثة من فقهائهم وقضاتهم ورابعة من عوامهم ... ثم إن التقية من الكفار وغيرهم قد تكون في إتيان عمل موافقا للعامة كما لو فرض أن السلطان ألزم المسلمين بفتوى أبي حنيفة وقد تكون في غيره".

---

(١) ص ٩٥ المطبعة الحيدرية ومطبعتها في النجف .

(٢) ٤٦٦/١١ .

(٣) كتاب الرسائل (١٧٤/٢) .

(٤) الرسائل (١٧٥/٢) .

ويقول الخميني أيضا [1]: "وليعلم أن المستفاد من تلك الروايات صحة العمل الذي يؤتى به تقية سواء كانت التقية لاختلاف بيننا وبينهم في الحكم كما في المسح على الخفين والإفطار لدى السقوط أو في ثبوت الموضوع الخارجي كالوقوف بعرفات اليوم الثامن لأجل ثبوت الهلال عندهم".

ويقول **الخميني** أيضا [2]: "ثم إنه لا يتوقف جواز هذه التقية بل وجوبها على الخوف على نفسه أو غيره بل الظاهر أو المصالح النوعية صارت سببا لإيجاب التقية من المخالفين فتجب التقية وكتمان السر لو كان مأمونا وغير خائف على نفسه".

نعود إلى **الخميني** في كلامه عن التقية فنجده يقول: "ومنها ما تكون واجبة لنفسها وهي ما تكون مقابلة للإذاعة فتكون بمعنى التحفظ عن إفشاء المذهب وعن إفشاء سر أهل البيت فيظهر من كثير من الروايات أن التقية التي بالغ الأئمة عليهم السلام في شأنها هي هذه التقية فنفس إخفاء الحق في دولة الباطل واجبة وتكون المصلحة فيها جهات سياسية دينية ولولا التقية لصار المذهب في معرض الزوال والانقراض" [3].

وكان علماؤهم يقومون برحلات إلى البلاد السنية حيث يظهرون التقية ويكذبون على أهل السنة بأن يتظاهروا بأنهم من أهل السنة وذلك للتجسس عليهم وتتبع أخطائهم وزلاتهم وكان من هؤلاء شيخهم محمد بن الحسين بن عبد الصمد المعروف بالشيخ البهائي المتوفي سنة ١٠٣١هـ الذي قال: "كنت في الشام مظهراً أني على مذهب الشافعي .." ذكر تقيته وقصته هذه شيخهم محمد محمدي الأشتهاردي في كتباه (أجود المناظرات [4]).

---

(١) الرسائل (٢/١٩٦) .

(٢) الرسائل (٢/٢٠١) .

(٣) الرسائل (٢/١٨٥) .

(٤)ص ١٨٨ .

ويقول علامتهم الشهرستاني على ما نقلوه عنه [1]ما نصه: "لذلك أضحت شيعة الأئمة من آل البيت تضطر في أكثر الأحيان إلى كتمان ما تختص به من عادة أو عقيدة أو فتوى أو كتاب أو غير ذلك.. لهذه الغايات النزيهة كانت الشيعة تستعمل التقية وتحافظ على وفاقها في الظواهر مع الطوائف الأخرى متبعة في كتاب سيرة الأئمة من آل محمد وأحكامهم الصارمة حول وجوب التقية من قبل التقية ديني ودين آبائي ومن لا تقية له لا دين له إذ أن دين الله يمشي على سنة التقية".

فانظر إلى قوله وتحافظ على وفاقها في الظواهر أما البواطن فغير ذلك ولهذا لا نكون متشككين عند المطالبة بالعمل مع القول لمن يدعي منهم الحرص والدعوة للوحدة

ولنا تعقيب على ماسبق نلخصه بالآتي:

- الأول: إن التقية عند الشيعة ليست لحفظ النفس بل هي في الأساس لتغطية مخازي المذهب وموقفه العدائي من أهل السنة.
- الثاني: أن التقية هي منهج ملازم لحياة الشيعي وليست كما قررها القرآن الكريم للحالة الخاصة ً فهي كالصلاة بالنسبة لهم، كم روى الحر العاملي[2]عن علي بن محمد قال: "يا داود لو قلت إن تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقاً".

وفي وسائل الشيعة[3] " عن الصادق قال: "عليكم بالتقية فإنه ليس منا من لم يجعلها شعاره ودثاره مع من يأمنه لتكون سجية مع من يحذره".

---

(١) هامش ص ١٣٨ من كتاب أوائل المقالات المطبوع في بيروت عام ١٤٠٣هـ منشورات مكتبة التراث الإسلامي .

(٢) في وسائل الشيعة (٤٦٦/١١) .

(٣) .

يقول شيخهم محمد بن محمد بن صادق الصدر الموسوي [1]ما نصه: "الأمر بالتقية في عصر الغيبة الكبرى وهذا المضمون مما اقتصرت عليه أخبار الإمامية دون غيرهم فقد أخرج الصدوق في إكمال الدين والشيخ الحر في وسائل الشيعة والطبرسي في إعلام الورى عن الإمام الرضا أنه قال: لا دين لمن لا ورع له ولا إيمان لمن لا تقية له وإن أكرمكم عند الله أعملكم بالتقية فمن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا". فهي معهم إلى قيام قائمهم الذي في السرداب

حكم التقية مع أهل السنة

وهذا الموضوع نذكره تأكيدا لما سبق ولبيان ان اولى من يعامل بهذه العقيدة الخبيثة هم أهل السنة وحتى لا يقال أن ما سبق هو في حق غير السنة من الغلاة والخوارج والنواصب

يورد الأصفهاني [2] رواية عن الإمام علي صحح هو إسنادها ونصها: "... فلا تغرنكم كثرة المساجد وأجساد قوم مختلفة". قيل يا أمير المؤمنين كيف العيش في ذلك الزمان؟ فقال: "خالطوهم بالبرانية يعني في الظاهر وخالفوهم في الباطن للمرء ما اكتسب وهو مع من أحب وانتظروا مع ذلك الفرج من الله عز وجل" وقال بعدها: "والأخبار في هذا الباب كثيرة ذكرت في مكيال المكارم جملة منها". ولا يعرف مذهب هو أكثر مساجدا من الشيعة غير السنة

ويقول آيتهم العظمى أبو القاسم الخوئي [3]وهو يتكلم عن التقية: "وذلك لأن المستفاد من الأخبار الواردة في التقية إنما شرعت لأجل أن تختفي الشيعة عن المخالفين وألا يشتهروا بالتشيع أو الرفض ولأجل المداراة والمجاملة معهم ومن البين أن المكلف إذا أظهر مذهب الحنابلة عند الحنفي مثلا أو بالعكس حصل بذلك التخفي وعدم الاشتهار

---

(١) تاريخ الغيبة الكبرى ص ٣٥٢.

(٢) وظيفة الأنام في زمن غيبة الإمام ص٤٤ .

(٣) التنقيح شرح العروة الوثقى (٤/٣٣٢ – ٣٣٣) .

بالرفض والتشييع وتحققت المداراة والمجاملة معهم فإذا صلى في مسجد الحنيفة مطابقا لمذهب الحنابلة صدق أنه صلى في مساجدهم أو معهم والسر في ذلك أن الواجب إنما هو التقية من العامة والمجاملة والمداراة معهم ولم يرد في شيء من الأدلة المتقدمة وجوب إتباع أصنافهم المختلفة ولا دليل على وجوب إتباع من يتقي منه في مذهبه وإنما اللازم هو المداراة والمجاملة مع العامة وإخفاء التشيع عندهم".

ويقول شيخهم مرتضى الأنصاري الذي يلقبونه بشيخ الفقهاء والمجتهدين [1]: "ويشترط في الأول أن تكون التقية من مذهب المخالفين لأنه المتقين من الأدلة الواردة في الأذن في العبادات على وجه التقية لأن المتبادر التقية من مذهب المخالفين فلا يجري في التقية عن الكفار أو ظلمة الشيعة...".

من بقي بعد الكفار وظلمة الشيعة

أقول: لاحظ أن المتيقن عندهم من الأدلة أن التقية مع أهل السنة لا من الكفار ولا من ظلمة الشيعة

يقول **الخوئي** [2]: "وأما التقية بالمعنى الأخص أعني التقية من العامة فهي في الأصل واجبة وذلك للأخبار الكثيرة الدالة على وجوبها بل دعوى تواترها الإجمالي".**الى أن يقول " وأما التقية بالمعنى الأعم فهي في الأصل محكومة بالجواز والحلية".**

فالتقية المحكومة بالوجوب في نظر الخوئي هي التقية بالمعنى الأخص أي مع أهل السنة والتقية بالمعنى الأعم أي مع الكفار غير أهل السنة فهي محكومة بالجواز

أبهذه الأقوال تكون الوحدة للأمة وممن من أكبر مرجع معاصر للشيعة

---

(١) رسالة التقية ص ٥٣ط ١دار الهادي ١٩٩٢م بيروت لبنان.

(٢) التنقيح شرح العروة الوثقى ط مطبعة صدر قم نشر دار الهادي للمطبوعات قم ١٤١٠هـ) (٢٥٤/٤) .

وهذا دليل يثبت أن أهل السنة عند الشيعة شر من اليهود والنصارى والمشركين فالتقية من أهل السنة واجبة ومن الكفار محكومة بالجواز والحلية!!

و من رسوخ مبدأ التقية عندهم فإنهم يستخدمونها بينهم

فكما مر سابقا عن الصادق قال: "عليكم بالتقية فإنه ليس منا من لم يجعلها شعاره ودثاره مع من يأمنه لتكون سجية مع من تحذره".

ومن هذا ما أجاب به بعض علمائهم ممن ينكر زواج عمر بن الخطاب رضي الله عنه من ابنة علي بن أبي طالب "أم كلثوم " فيجيبون عما كذبه إخوانهم المقرون على لسان علي رضي الله عنه أنه قال عن هذا الزواج:" هذا فرج غصبناه " فيقول المنكرون ومنهم شيخهم نعمة الله الجزائري(١):" محمول على التقية و الاتقاء من عوام الشيعة كما لا يخفي " انظر الاتقاء من عوام الشيعة أمر ظاهر لا يخفى

فكيف مع خصومهم ؟ !

الباب الرابع

الاتهامات الموجهة للطوسي وابن العلقمي

وجهة للرجلين تهم عديدة تشير إلى مشاركتهما في إسقاط الخلافة العباسية ، وقد رد البعض هذه الاتهامات وحاول تبرير تصرفات الرجلين أو إنكار ما أمكنه إنكاره وزعموا بأن سبب هذه الاتهامات هو العداء والخلاف المذهبي فقط

(١) الأنوار النعمانية :١/ ٨٤ .

فما هو الصحيح ؟ إجابة على هذا السؤال نذكر هذه التهم ونرى هل كانت فقط من أعداء ومخالفين للمذهب الشيعي أم هذا منسجم مع عقائد ومبادىء المذهب الشيعي وهل أقر بهذه الخيانات أحد من الشيعة وقبل البدء أذكر أنني سوف أحرص إن شاء الله على أن يكون أكثر النقل في مناقشة هذه الاتهامات عن كتب ومراجع شيعية ، أو حيادية ، أو محسوبة على التاريخ المغولي وفي النادر سوف أذكر مراجع لعلماء السنة وهذا غالباً لتوضيح معنى ورد عند غيرهم من المراجع السابقة وأسأل الله التوفيق و الإعانة والسداد .

التهم الموجهة للطوسي

١- خيانته للإسماعيلية

بلغ الطوسي عند الإسماعيلية مرتبة عالية حتى أطلقوا عليه أستاذ الكائنات وكان الوزير المطلق لديهم[١] ويقول عارف تامر[٢] [وأما الإسماعيليون فكانوا يطلقون عليه أسم الداعي الأجل وحجة الإمام وداعي الدعاة] أه .

---

(١) أعيان الشيعة ٩/٤١٥ .

(٢) كتابه عن نصير الدين الطوسي ص٤٣ .

ومع هذا كان يعتبر حياته معهم لا يوجد أكدر منها ولا أصعب حالاً منها بل هي عذاب أليم وحيرة وندم عظيم و...و... ، وهذا الوصف كتبه في آخر كتابه " شرح الإشارات " وهو الذي ألفه خلال أقامته في قلاع الإسماعيلين [انظر كتاب أعيان الشيعة ٤١٦/٩، والعلامة الخواجة نصير الدين الطوسي لمحمد تقي مدرسي] .

وأما عن سبب هذا الشعور فبعض المؤرخين يرجع هذا إلى أن سبب قدومه على الإسماعيلين هو أنهم هددوه وأرغموه على المقام عندهم.

وقسم يرى أنه ذهب إلى ناصر الدين برغبته لما دعاه ناصر الدين ولكن حدث أمر جعل ناصر الدين يحبسه ويقول محمد الزنجاني – شيعي – أن هذا بسبب اختلاف عقيدته عن عقيدتهم [١]هذا عن حاله معهم لكن ماذا عن دوره في إسقاط قلاعهم .

بطبيعة الحال نحن لا ندافع عن الإسماعيلية فقد كانوا معاول عدم هدم للأمة الإسلامية على جميع النواحي العقائدية أو السياسية ، وقد وصفهم عارف تامر وهو منهم في تلك الحقبة فقال : [يوم كانت شوكة في عين الدولة العباسية وغيرها من الدول والإمارات] [٢].

وكما قيل فيهم [مذهب ظاهره التشيع وباطنه الكفر والزندقة] ولكن يهمنا أن نوضح سلوك هذا الرجل وطريقة تعامله مع من يخدمهم .

نقل المشهداني[٣] "عن عبد الأمير الأعسم [٤]أن الطوسي راسل المغول سراً حوالي ٦٥٠هـ وهذا الكتاب يشيد به الشيعي عارف تامر[٥] فيقول : [الذي لا يسعني إلا الإشادة بمقدرته وسعة إطلاعه] .

---

(١) انظر: أعيان الشيعة ٤١٦/٩ .

(٢) ص ٥٧ كتاب نصير الدين الطوسي .

(٣) محكمة التاريخ ٧٠-٧١ " .

(٤) في كتابه نصير الدين الطوسي (ص ٢٢-٤٦) .

(٥) كتاب نصير الدين الطوسي ص ٤٠ . وانظر ص ١٣٢ .

علماً أنه في سنة ٦٥١هـ أصدر منكو خان أمراً إلى أخيه هولاكو بالتوجه لإخضاع الجهات الغربية منهم [١] وقد قال الهمذاني [٢] [فلما أن كان منكوخان يودع أخاه كلفه بأن يرسل إليه الخواجه نصيرالدين بعد الاستيلاء على قلاع الملاحدة] فهذا مما يشهد لتلك الرسالة ويقوي احتمال صحتها ويقول الهمذاني أيضا [٣](وفي ذلك الوقت – هجوم المغول على الإسماعيلين – كان مولانا السعيد الخواجة نصير الدين الطوسي الذي كان أكمل وأعقل العالم وجماعة آخرون من الأطباء ... يقيمون لدى ملك الإسماعيلية مكرهين .... وكانوا قد ملوا ملازمة الملاحدة ونفروا منهم ومالوا إلى هولاكو إلى أقصى حد ومن قبل كانوا يرغبون في ذلك فصاروا يتشاورون سراً لكي يجعلوا هذا الملك يخضع لهولاكو على الوجه الأحسن والطريق الأسهل وانضم إليهم كثر من الغرباء والمسلمين ... ولهذا السبب لم يدخروا وسعاً في حث خورشاه على الخضوع والطاعة وصاروا يخوفونه مغبة المقاومة وعدم التسليم فاستجاب لنصحهم .) وهذا شبيه بالدور الذي لعبه ابن العلقمي مع الخليفة

ويقول الميرزا النوري الطبرسي[٤] : [ثم لما قرب إيلخان المشهور بهولاكوخان من قلاع الإسماعيلية لفتح تلك البلاد خرج ولد الملك علاءالدين عن القلعة بإشارة المحقق– الطوسي– سراً واتصل بخدمة هولاكوخان فلما استشعر هولاكو أنه جاء عنده بإجازة المحقق ومشاورته وافتتح القلعة ودخل بها أكرم المحقق غاية الإكرام و الإعزاز]

.

---

(١) محكمة التاريخ ص ٧٠– ٧١ .

(٢) جامع التواريخ – تاريخ هولاكو ص٢٠٣ .

(٣) ص ٢٤٩ .

(٤) خاتمة المستدرك (٢/٤٢٥) .

فالقضية ليست كما يصورها حسن الأمين في دفاعه عن الطوسي بأن هولاكو أبقاه لعلمه فقط وأن الطوسي مكث عنده مكرهاً [1] .

بل أن السبب الحقيقي كما يقول مؤرخ المغول الهمذاني[2] : [ولما تأكد هولاكو من صدق و إخلاص الخواجه نصير الدين الطوسي و... شملهم بعطفه وإنعامه وأعطاهم الخيول اللازمة لحمل أهلهم ومواليهم وأقاربهم مع أتباعهم وخدمهم وأشياعهم وإخراجهم من القلعة وألزمهم حضرته وأبناؤهم حتى اليوم ملازمون للحضرة ، ومقربون من هولاكوخان وأفراد أسرته المشهورين] .

وقد سبق بعض هذا وزيادة في مكانة الطوسي عند هولاكو فهل بعد هذا يقال إنه مجبر وستأتي – إن شاء الله – حوادث توضح بجلاء أكثر أنه يعمل لا خوفاً بل بإخلاص لتقوية هذه الدولة لما تحققه له من أهداف على حساب الأمة التي ينتسب إليها .

٢– تحريضه على غزو العراق وبغداد

مر معنا في حكم الشيعة على أهل السنة بالكفر وإباحة دماءهم ونقلنا حكم الطوسي بكفر أهل السنة و إباحة دماءهم [راجع ...] فلا عجب ولا غرابة إذاً أن يحث هولاكو على غزو بغداد

ومما يشهد لوقوع هذا التحريض غير ما يذكره علماء ومؤرخوا أهل السنة ما ذكره بعض علماء الشيعة من أن الطوسي كان له دور في عزم هولاكو على غزو بغداد . نعم لم يكن هو ولا ابن العلقمي الدافع الأول لكن لا يعني هذا أنه لم يكن لهما دور .

---

(١) انظر الغزو المغولي لحسن الأمين ١١٨– ١٥٤ وأعيان الشيعة ٤١٦/٩ .

(٢)جامع التواريخ ٢٥٧ .

يقول محدثهم النوري الطبرسي [1]: [ودخل القلعة ودخل بها – هولاكو – وأكرم المحقق – الطوسي – غاية الإكرام والإعزاز وصحبه وارتكب الأمر الكلية حسب رأيه وإجازته فأرغبه المحقق لتسخير عراق العرب فعزم هولاكوخان على فتح بغداد وسخر تلك البلاد والنواحي واستأصل الخليفة العباسي] .

فانظر إلى هذه العبارات التي تفوح منها رائحة الشعوبية والحقد على الإسلام والعروبة !!

ويقول نظمي زاده [2]في كتابه كلش خلفا ترجمة كاظم نورس (ص١٢٧) [وبتشويق من نصير الطوسي أتجه نحو بغداد] .

ويقول محمد تقي مدرّسي رضوى [3]: [وبعد أن فرغ هولاكو من أمر الإسماعيلية فكر بغزو بغداد وتأديب السلطان العباسي فاستشار الخواجه الطوسي وطلب منه أن يتقصى هذه المهمة عبر التنجيم ويخبره بالنتيجة .

فتأمل الخواجه في طلب هولاكو كثيراً ثم وافاه بما توصل إليه فقال : إن الذي يلوح من التنجيم هو أن المستعصم سينتهي أمره ، أن العراق سيقع تحت تصرف الملك بلا جهد ومشقة ، وبالغ الخواجه مبالغة جعلت هولاكو يثق بكلامه حتى شد رحاله تلقاء بغداد وهو مطمئن البال] .

فهل يعقل بعد هذا أن يقال أنه خائف مضطر فتأمل قوله [وبالغ الخواجه مبالغة جعلت ...].

وينقل محمد المدرسي في نفس الكتاب[4]فيقول [ويرى القاضي نور الشوشتري – شيعي – في كتاب مجالس المؤمنين أن الخواجة : ((لما كان الخواجة على علم

---

(١) خاتمة المستدرك (٢/٤٢٥) .

(٢) نقلاً عن في محكمة التاريخ للدكتور محمد المشهداني ص٤٣ .

(٣) نصير الدين الطوسي حياته وآثاره ص٢١ .

(٤) ص٢٢.

بتعصب المستعصم مذهبياً وطرق سمعه ما يلاقيه الشيعة من المحن : حث هولاكو على غزو بغداد))] .

وقد حاول بعض المنجمين أن يثني هولاكو عن غزو بغداد عن طريق التنجيم لأن هولاكو يعتقد به أشد الاعتقاد ولكن أفشل هذه المحاولة نصير الدين الطوسي ، وإليك سياق هذا الحدث كما في جامع التواريخ للهمداني [1] حيث يقول : [وكان الخان يتشاور مع أركان الدولة وأعيان الحضرة في أمر تصميمه على الزحف إلى بغداد فكان كل منهم يبدي رأيه حسب ما يعتقد ثم طلب حسام الدين المنجم الذي كان مصاحباً له بأمر القآن... وقال له : ((بين كل ما يبدو لك في النجوم دون مداهنة)) ولما كانت له جرأة بسب تقربه فقد قال للملك بصوره مطلقة : أنه ليس ميموناً قصد أسرة الخلافة والزحف بالجيش إلى بغداد إذ أن كل ملك – حتى زماننا هذا – قصد بغداد والعباسيين لم يستمتع بالملك والعمر و إذا لم يصغ الملك إلى كلامي ، وذهب إلى هناك فستظهر ستة أنواع من الفساد

أولها : أن تنفق الخيول كلها ، ويمرض الجنود .

ثانيها : أن الشمس لا تطلع .

ثالثها : أن المطر لا ينزل .

ربعها : تهب ريح صرصر ، وينهار العالم بالزلازل .

خامسها : لا ينبت النبات في الأرض .

سادسها : أن الملك الأعظم يموت تلك السنة .

فطلب منه هولاكو خان شهادة بصحة هذا الكلام فكتبها المسكين وقال اللامات (بخشيان) والأمراء : إن الذهاب إلى بغداد هو عين الصواب

بعد ذلك استدعى هولاكو خان الخواجة نصر الدين الطوسي واستشاره فخاف الخواجة وظن الأمر على سبيل الاختبار فقال : "لن تقع أية واقعة من هذه الأحداث

---

(١) ص ٢٧٨-٢٨٠ .

" فقال هولاكو : إذاً ماذا يكون ..... قال :إن هولاكو خان سيحل محل الخليفة . ثم أحضر هولاكو حسام الدين ليتباحث مع الخواجة الذي قال : لقد استشهد جمع كثير من الصحابة باتفاق آراء الجمهور وأهل الإسلام ولم يحدث فساد قط ولو قيل إن للعباسيين مكرمة خاصة بهم . فإن طاهراً جاء من خراسان بأمر المأمون وقتل أخاه محمد الأمين وقتل المتوكل ابنه بالاتفاق مع الأمراء كذلك قتل الأمراء والغلمان المنتصر والمعتز وقتل عدد من الخلفاء على يد جملة من أشخاص فلم تختل الأمور . **شعر**

فأضاء قلب الملك من قول العالم

كأنه زهرة اللعل في الربيع الباكر [1]

فلو قبلنا أنه قال هذا الكلام خوفاً على نفسه فهل من يتسبب في قتل مئات آلاف من المسلمين وسقوط الخلافة الإسلامية في يد الوثنيين لينقذ نفسه يعتبر تصرف تصرفاً مسؤول وكيف يقبل هذا من عالم يبجل ويحترم ويعتبر مجدد القرن السابع عند بني مذهبه . والذي يظهر من الروايات السابقة أن الطوسي لم يكن يمانع بل سبق أنه يحبذ ويشجع غزو بغداد لحقده على أهل السنة وحكامهم وانتقاما لبني مذهبه

وأما التبرير بأن هذا نتيجة لاضطهاد العباسيين للشيعة فلو قبلنا هذا القول لكان تصرف أحمق جاهل يستحق صاحبه كل وصف بالخيانة والنذالة ولكن الصحيح أن المحرك الأول لهولاء هو معتقدهم الذي يرى أن أهل السنة هم أكفر من على هذه الأرض كما سبق في حكمهم على أهل السنة وكما مر من رأيه الشخصي في كفر أهل السنة واستباحة دمائهم [2]

---

(١) انظر: أعيان الشيعة ٩٢/٩، ونصير الدين الطوسي للمدرسي ص ٢١ .

(٢) كما في ص من هذا البحث .

وحتى تعلم أخي شعور هذا الوزير بعد الاستيلاء على بغداد هل ندم أو تأثر بما حصل للمسلمين ، إليك بعض الرسائل التي كتب لملوك المسلمين يتهددهم على لسان هولاكو .

نقل محمد تقي مدرسي [1] هذه الرسالة حيث قال : وبعد غزو بغداد أمر هولاكو الخواجة الطوسي أن يكتب رسالة باللغة العربية حول غزو مدينة السلام وقمع الحاكم العباسي ..... ثم يرسلها إلى بلاد الشام ... وفيما يأتي نص الرسالة : [... يعلم الملك الناصر أننا نزلنا بغداد سنة ست وخمسين وستمائة فاستأسرنا مالكها وسألنا وسائل فيها وندم واستوجب من العدم وضن بالمال فآل به الأمر إلى ما آل واستبدل نفائس نفيسة نفوساً بذية خسيسة وكان ذلك ظاهراً فوجدوا ما عملوا حاضراً وقد قال القائل : إذا تم أمر دنا نقصه ونحن في الاستزادة أما بعد يعلم الملك الناصر و... أنا جند الله خلقنا من سخطه وسلطنا على من حل عليه غضبه ...] إلى أخر الرسالة بهذا الأسلوب وبهذا الروح وبهذا المنطق يخاطب العرب والمسلمين في الشام نيابة عن هولاكو الوثني لنعلم بعد ذلك هل كان تصرفه عن خوف أو عن عقيدة ومبدأ راسخ ثابت .

وانظر نماذج أخرى من رسائله تلك في جامع التواريخ [2]وكذلك في محكمة التاريخ لمحمد المشهداني(ص٨٧) وما بعدها حيث أورد رسالة للطوسي في وصف دخولهم بغداد و هي مهمة فراجعها غير مأمور .

٣- تهوينه قتل الخليفة لدى هولاكو

ومما يتهم به أنه كان ممن هون مع ابن العلقمي على هولاكو قتل الخليفة انظر طبقات الشافعية (٢٧١/٨) و البداية والنهاية لابن كثير (٢٨٣/١٣) (٢١٤/١٣).

---

(١) نصير الدين الطوسي ص ٣٠ .

(٢) ص٢٩٦ .

وممن ذكر هذه القضية من الشيعة الميرزا محمد نكابني [1].حيث يقول : "ونقل المؤرخون أن حسام الدين المنجم عرض على هولاكو أن لا يقتل المستعصم لأن له رحماً برسول الله ﷺ وليس في قتله مصلحة وإذا ما قتله فإن الأرض ستهتز وتنشق وتخر السماء عليها فرد الخواجة الطوسي كلامه وقال هذه كلها أباطيل ، ولما تردد هولاكو بعد سماع كلام حسام الدين أشار عليه الخواجة أن يضعوا المستعصم في بساط ويضغطوا عليه قليلاً فإذا بان أثر كلام المنجم يترك ، وإلا يضغط عليه حتى تزهق روحه من غير أن يراق دمه فاستحسن هولاكو كلام الخواجة وأمر أن يفعل به كما أشار] .

وقد سبق الكلام على طريقة موت الخليفة في عرض نكبة بغداد [2].

ويعلق محمد تقي المدرسي وهو معاصر على هذا الحوار قائلاً : [وعلى فرض أن الخواجة ضالعا في ذلك العمل ، وأنه هو الذي دفع هولاكو إلى قتل الحاكم العباسي فإن هذا العمل إذا كان ذنباً لا يغتفر عند السني المتعصب فهو ليس ذنباً عند الشيعي الذي لا يؤمن بالحكومة العباسي ويرى أن العباسين غصبوا حق آل محمد صلوات الله عليه وعليهم بل هو- عنده – باعث على التقرب إلى الله زلفى وكسب أجره وثوابه ، و الخواجة الطوسي كان شيعياً وكان يرى أن الإقدام على هذا العمل تكليف شرعي وواجب ديني ؛ فمن هذا المنطلق ليس لهذا الأمر عند الشيعة وقع يذكر حتى يكون داعياً إلى الكفر...] [3]. فكيف بعد هذا يقال أنهم يسعون لوحدة وطنية بل هم يعتبرون قتل حكامنا حتى على يد الكفار تقربا

---

(١)في كتابه قصص العلماء (ص٢٨٧) كما نقله عنه محمد تقي مدرسي في كتابه العلامة الخواجة نصير الدين الطوسي (ص٢٨) .

(٢) ص من هذا البحث .

(٣) محمد مدرسي في كتابه عن الطوسي ص ٦٩ .

لله حتى لو تسبب ذلك في استيلاء الكفار على مقدرات الأمة لأننا والكفار في عقيدتهم سواء إن لم نكن الأعظم كفرا

وا نظر إلى عبارة شيعي آخر إسماعيلي نجدها خرجت من نفس المعين معين بغض أهل السنة وتكفيرهم فيقول عارف تامر [1] : [من جهة أخرى ... فيجب أن ندخل في حسباننا بأن نصير الدين لم يكن يعتبر المستعصم العباسي خليفة شرعي للمسلمين بل كان يحصر هذه الرتبة بالفاطميين الذين ينحدرون من أسرة الرسول الكريم وربما كان هو السبب بوقوفه موقف اللامبالاة من كارثة بغداد] .

ويقول [2]: [أليس في هذا – قبو له وزارة هولاكو – ما يؤكد إسماعيليته !!! ويلبي رغبته بمشاهدة مصير الذين كانوا وراء النكبة الكبرى] إ هـ .

فهذا هو المنطق المنسجم مع عقائد الشيعة الثابتة ، وأما الدموع التي يطلقها البعض منهم على بغداد والإسلام في هذه الحادثة فهي إما دموع التماسيح ، وانسجاماً مع عقيدة التقية ، والتي سبق ذكرها و إما هذه من العوام جهلاً بمنطلقات ولوازم هذا المذهب ولبقية فطرة سليمة .

ولذلك لا نستغرب كثيراً عندما نقرأ لمحمد باقر الخونساري [3] عندما يقول [4] عند ترجمته لنصير الدين الطوسي : [ومن جملة أمره المشهور المعروف المنقول حكاية استيزاره للسلطان المحتشم في محروسة إيران هولاكو خان ... ومجيئه في موكب السلطان ... إلى دار السلام بغداد لإرشاد العباد وإصلاح البلاد وقطع دابر البغي والفساد ، و إخماد ثائرة الجور الإلباس بإبادة دائرة ملك بني العباس و إيقاع القتل

---

(١) نصير الدين الطوسي ص ٨٩ .

(٢) ص ٦٢ .

(٣) انظر ترجمته في أعيان الشيعة (١٥٧/٩) – .

(٤) في كتابه روضات الجنان في أحوال العلماء والسادات (ص٥٧٨) نقلاً عن محكمة التاريخ لمحمد المشهداني (١٠١) وانظر أيضاً مثل هذا الكلام في حاشية رقم (١) من بحار الأنوار للمجلسي (٣١/١٠٤) .

العام في أتباع أولئك الطغاة ، إلى أن أسال من دمائهم كأمثلة الأنهار فانهار بها في ماء دجلة و منها إلى نار جهنم دار البوار ومحل الأشقياء الأشرار].

وقد حاول البعض أن يجعل هذا الموقف من الخونساري موقف شاذ عن المذهب الشيعي نتيجة رد فعل فقط وأن المذهب الشيعي لا يجوّز قتل مسلم واحد ، والحقيقة أن قول الخونساري هو المنسجم مع عقائد المذهب ، وقول هذا المدعي أيضاً ينسجم مع عقيدة التقية !!!

كتب مكتبات بغداد

يحلو لبعض كتاب الشيعة أن يثنوا على الطوسي عند د خول بغداد في أنه حمى العلم و العلماء والكتب التي في بغداد ومن هؤلاء الطباطبائي [1] حين يقول عن الطوسي : [كما استطاع أن ينقذ الكثير من علماء بغداد ومدارسها ومكتباتها وقد سلم بفضل هذا العلم الجليل الكثير من التراث والكتب والمكتبات من سقوط بغداد ...] .

ويقو أيضاً [2]: [وكان للمحقق نصير الدين الطوسي ... الدور الكبير في إنقاذ ما أمكن إنقاذه من العلماء والمكتبات في بغداد].

وكذلك حسن الأمين[3].

ولكن مما يعكر على هذا المدح المصطنع أمران لا ينكران :

الأول : أن هذه الكتب والتي يزعم هؤلاء أنه أنقدها هو في الحقيقة قد نهبها من المكتبات ولم يحافظ عليها ففي ذلك ينقل لنا علي الطباطبائي نفسه عن شاكر الكتبي قو له [... واتخذ في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء وملاءها من

---

(١) رياض المسائل (٢/٢٦) .

(٢) رياض المسائل:٢/ ٢٧ .

(٣) في الغزو المغولي ص ١٥٦ ، وفي أعيان الشيعة (٩/٤١٦) .

الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة حتى تجمع فيها زيادة على أربعمائة ألف مجلد] [1].

ويلطف العبارة حسن الأمين [2]فيقول : [...لإنقاذ أكبر عدد من الكتب وتجميعها] .

وأما الأمر الثاني : فهو أن المغول أتلفوا الكتب والمكتبات في بغداد حيث ينقل علي الطباطبائي [3]عن قطب الدين الحنفي قوله : [وتراكمت الكتب التي ألقاها التتار في نهر دجلة حتى صارت معبراً يعبر عليه الناس والدواب واسودت مياه دجلة بما ألقي فيها من الكتب] .

وقد يقول أحدهم أنه أنقذ ما يمكن إنقاذه لكن الأقرب أنه كان يختار ما كان يناسب معتقده وعلومه ؛ ولذلك يقول أحد تلامذة الطوسي [4]وهو ابن الفوطي [5]: [سنة اثنتين وستين وست مئة فيه وصل نصير الدين الطوسي إلى بغداد ... ثم أنحدر إلى واسط والبصرة وجمع من العراق كتباً كثيرة لأجل الرصد] .

وشبيه بما حدث لمكتبات بغداد حدث لمكتبات قلاع الإسماعيلية حيث يقول عطا ملك الجويني والذي كان من أعوان هولاكو وقد تولى بغداد بعد غزوها [6]: [

---

(١) رياض المسائل (٢٦/٢) . وهو أيضا في خاتمة المستدرك (٤٢٣/٢) وانظر كذلك مقدمة الرسالة السعدية للحلي (٣٥) حيث قال [الكتب التي نهبت في بغداد...]

(٢) ص ١٥٦ من الغزو المغولي .

(٣) رياض المسائل (٧/٢) .

(٤) ذكره محمد مدرسي ص ٦٤ في كتابه نصير الدين الطوسي .

(٥) كتابه الحوادث الجامعة ص ٣٨٢ .

(٦) في كتابه جها نكشاي ص ٢٧١ من كتاب دولة الإسماعيلية في إيران لمحمد السعيد جمال علي حيث نقل في أخر الكتاب جزءً كبيراً من كتاب الجويني .

وعندما كنت بأسفل لمسر استولت علي الرغبة في تفقد مكتبة آلموت التي استطار صيتها في الأقطار فعرضت على السلطان .....فتقبل السلطان طلبي بقبول حسن وأعطى الأوامر اللازمة ، فتوجهت لتفقد المكتبة وأخرجت كل ما وجدت من المصاحف ونفائس الكتب ... وأحرقت ما بقي وكان متعلقاً بضلالتهم وغوايتهم ...] .

وأما عن حفظه للعلماء فكانت جهوده في سلامة علماء الشيعة لا جميع علماء بغداد فلم ينقل لنا عن جهده الخاص إلا إنقاذه للعلقمي وهذا ليس بمستغرب وقد سبق نقل الروايات في هذا في موضوع العلاقة بين الطوسي وابن العلقمي .

و أيضاً ما نقله محمد مدرسي – الشيعي – من شفاعة الطوسي وابن العلقمي لابن أبي الحديد الشيعي ولأخيه من القتل عند هولاكو [1].

وأما بقية العلماء فكان مصيرهم القتل وقد سبق نقل عبارات المؤرخين في ذلك [2] عند الكلام عن إتلاف الكتب ومنهم علي الطباطبائي .

وهذا عارف تامر [3] يشهد بهذا فيقول : [وعند اجتياح المغول لبغداد لم يتوقف عن أعمال الخير !!! فا ستحصل من هولاكو على أمر باستثناء المسيحيين والشيعة والعائلات الغير إسلامية من الاستباحة وهكذا بالنسبة للعلماء ورجال الفكر والدين] .

وقال أيضاً : [فأعلن أنه من أتباع مذهبهم – الإثنى عشري – وبأنه ما جاء إلى بغداد مع هولاكو إلا لحمايتهم من خطر المغول وعزلهم عن العباسين السنة] .

---

(١) كتاب نصير الدين الطوسي ص ٢٩-١١٣ .

(٢) ص من هذا البحث .

(٣) نصير الدين الطوسي ص٧٧ ، وانظر ص ٨٨-٨٩ .

ولـذلك يقـول ابـن القـيم [1] –: [ولمـا انتهـت النوبـة إلى وزيـر الملاحـدة النصـير الطوسـي وزيـر هولاكـو شـفا نفسـه مـن أتبـاع الرسـول و أهـل دينـه فعرضـهم علـى السـيف حـتى شـفا إخوانـه مـن الملاحـدة واشـتفى هـو ، فقتـل الخليفـة والقضـاة والفقهـاء والمحـدثين ، واسـتبقى الفلاسـفة والمنجمـين والطبـائعيين والسـحرة ونقـل إلـيهم أوقـاف المـدارس والمساجد والربط إليهم ...].

وفي مقدمـة كتـاب قواعـد الأحكـام لعلامـتهم الحلـي [2]قـال الكاتـب : [وبفضـل هـذا الشـيخ المعظـم وتـدبير نجـا أهـل الكوفـة والحلـة والمشـهدين الشـريفين مـن القتـل والنهـب والسبي وذلك حين غزا التتار العراق وعملوا ما عملوا] و هذه كلها أماكن شيعة .

ونخـتم الكـلام عـن الطوسـي بكلمـة لأدوارد جرانفيـل بـراون حيـث يقـول عـن الطوسـي : [يجـب أن لا يغيـب عـن أذهاننـا ... رغـم كتابتـه في الموضـوعات الأخلاقيـة والدينيـة ، أنـه قـد أنكـر جميـل مضـيفيه الإسماعيليـة ، كمـا سـاعد علـى الإيقـاع بالخليفـة في سـبيل أن يرضي فاتحاً وثنياً سفاكاً للدماء مثل هولاكو ...] [3] .

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/٣٨٠) .

(٢) ١٤/١ .

(٣) تاريخ الأدب في إيران ص ٥٨٨ ، نقلاً عن محكمة التاريخ لمحمد المشهداني ص ١٠٨ .

الاتهامات التي وجهة للعلقمي

اتهامه بالخيانة

اتهم ابن العلقمي بالخيانة ومراسلة المغول العديد من مؤرخين الإسلام منهم :

١- أبو شامة (ت ٦٦٥) أي أنه معاصر للحدث ذكره في كتابه "الذيل على الروضتين" (ص١٩٩) .

٢- الجوزجاني (ت ٦٩٨) في كتابه طبقات ناصري .

٣- أحمد بن عبدالوهاب النويري (ت ٧٣٢) في كتابه نهاية الإرب .

٤- الذهبي (ت ٧٤٨) في كتابه دول الإسلام .

٥- عمر ابن الوردي (ت ٧٥٠) في تتمة المختصر .

٦- ابن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤) فوات الوفيات .

٧- عبدالله الشيرازي " وهو على مذهب ابن العلقمي الشيعي" (ت ٧٣٠) في كتابه وصاف الحضرة .

٨- تاج الدين السبكي (ت ٧٧١) في طبقات الشافعية (٢٦٣/٨) .

٩- ابن كثير (ت ٧٧٤) في البداية والنهاية (٢٢٥/١٣).

١٠- الملك الأشراف الغساني (ت ٨٠٣) في العسجد المسبوك .

١١- ابن خلدون (ت ٨٨٠) في تاريخ ابن خلدون .

١٢- المقريزي (ت ٨٤٥) في السلوك لمعرفة دول الملوك .

١٣- ابن تغري بردي (ت ٨٧٤) في النجوم الزاهرة .

١٤- السيوطي (ت ٩١١) في تاريخ الخلفاء .

١٥- حسن الديار بكري (ت ٩٩٠) في تاريخ الخميس .

١٦- ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩) في شذرات الذهب .

١٧- ابن تيمية (ت ٧٢٨) .

١٨- نظمي زاده أفندي في كلش الخلفاء[١] .

١٩- قطب الدين اليونيني (ت ٧٢٦) في ذيل مرآة الزمان .

وقد قال عبدالله بن فضل الشيرازي [٢]: [فكتب أهل بغداد على جدرانهم وأبواب المدارس و الأربطة بأقلام مختلفة : لعن الله من لا يلعن ابن العلقمي ...] وهو شيعي .

مما يعطي انطباعاً أن خيانة ابن العلقمي كانت مشتهرة حتى عند العوام .

أما من اعترف بخيانة ابن العلقمي من بني قومه فهم :

١- نور الله بن شرف الدين الحسيني المرعشي المعروف بالششتري[٣] حيث يقول : [إنه كاتب هولاكو و الخواجة نصير الدين الطوسي وحرضهما على تسخير بغداد للانتقام من العباسيين] وهذا يذكرنا بإشارة المجلسي [٤]إلى الرسالة التي بين ابن العلقمي و الطوسي وفيها إشارة لما حدث للعلويين أو أحدهم من قبل العباسيين

---

(١) انظر: محكمة التاريخ ص٢٩.

(٢) وصاف الحضرة ص١٥١ .

(٣) مجالس المؤمنين ص ٤٠٠ نقلاً عن محكمة التاريخ ص٢٩ .

(٤) بحار الأنوار (٣٤٣/٦٤) .

حيث يقول : [ويحتمل أن يكون إشارة – يقصدقول أبو جعفر عن العباسيين لا يزال القوم في فسحة من ملكهم ما لم يصيبوا منا دماً حراماً – إلى قتل رجل من العلويين قتلوه مقارناً لانقضاء دولتهم كما يظهر مما كتب ابن العلقمي إلى نصير الدين الطوسي...].

٢- وهو علي بن أنجب البغدادي المعروف بابن الساعي (ت ٦٧٤) أي إنه معاصر وكذلك هو شيعي [١]و إضافة لكونه شيعي معاصر لإحداث نكبة بغداد فقد كان يسكن بغداد ولذا فشهادة لا مطعن فيها حيث يقول : [وفي أيامه – أي المستعصم – استولت التتار على بغداد وقتلوا الخليفة وبه انقضت الدولة العباسية من أرض العراق وسببه أن وزير الخليفة مؤيد الدين بن العلقمي كان رافضياً ...] [٢].

٣- عبدالله فضل الشيرازي (ت ٧٣٠) [٣] قال: [... أرسل ابن العلقمي في الخفاء رسولاً إلى هولاكو ، أظهر الإخلاص والطاعة وزين مملكة بغداد في خاطره] وقد ذكره من الشيعة أغابرزك الطهراني في طبقات أعلام الشيعة (١٢٣/٣) وفي الذريعة إلى مصنفات الشيعة (٣٥٨/٣) .وقد ألف الشيرازي كتابه هذا لأحد ولاة المغول .

٤- وهاهنا نجد محقق كتاب بحار الأنوار لمحمد باقر المجلسي طبعة مؤسسة الوفاء بيروت الطبعة الثانية المصححة عام ١٤٠٣- ١٩٨٣ يقول عند ذكر المجلسي للوزير مؤيد الدين بن العلقمي [٤]: [كان هو وزير أبو احمد المستعصم بالله عبدالله بن المستنصر بالله آخر خلفاء بني العباسيين لعنهم الله وكان من خيار الشيعة وأعان

---

(١) ترجم له في أعيان الشيعة (٣٠٥/١) .

(٢) من مختصر أخبار الخلفاء لعلي الساعي ص١٣٦-١٣٧. نقلاً عن ناصر القفاري في مسألة التقريب بين السنة والشيعة (٢٦٣/٢).

(٣) تاريخ وصاف الحضرة (٣٧/١- ٣٨) نقلاً عن محكمة التاريخ ص ٢٥ .

(٤) ٣١/١٠٤ الحاشية رقم (١) .

هولاكو خان المغول على هلاك الخليفة و أغفل سلطانه المذكور إلى أن قتله سلطان المغول وأزال دولة العباسية فاستوزر نفسه] .

وقد قال الواعظ الكوفي شمس الدين محمد بن عبيدالله الهاشمي بعد نكبة بغداد مراثي فيها منها :

يا عصبة الإسلام نوحوا واندبوا

أسفاً على ما حل بالمستعصم

دست الوزارة كان قبل زمانه

لابن الفرات فصار لابن العلقمي

مما يشير لأثر وزارة ابن العلقمي فيما حل بالخليفة ولو كان ابن العلقمي كما حاول البعض أن يصفه أنه ليس له من الأمر شيء وأنه قد أصبح بسبب تحريض الدويدار لا حول له ولا قوة لما ذمه الهاشمي هنا .

ومن شعره أيضا في هذه المأساة لما شاهد قبور الخلفاء العباسيين قد نبشت وأحرقت.

إن ترد عبرة فتلك العبـ ـاس حلت عليهم الآفات

استبيح الحريم إذ قتل الأحبـ ـاء منهم وأحرق الأموات [1]

وحادثة إحراق قبور الخلفاء العباسيين تدل على أن الأمر فيه حقد دفين على هؤلاء وهذا لا يوجد عند المغول بل هو عند من يعتقد ديناً أن العباسيين سلبوا حق العلويين بالخلافة و أنهم كفروا بهذا الفعل.

وقد حاول أفراد التشكيك في خيانة ابن العلقمي من خلال التشكيك في مؤرخي الإسلام الذين سبق نقل اتهامهم لابن العلقمي متعلق إما بعدم المعاصرة أو بالخلاف المذهبي[2] .

---

(١) انظر:الحوادث الجامعة لابن الفوطي المعاصر للأحداث ص ٣٦٤.

(٢) كما في أعيان الشيعة (١٠٠/٩) . .

ولكن ومن خلال النقل السابق فقد ذكر الخيانة من هو معاصر وشيعي إلا وهو ابن الساعي ، وإضافة لذلك كان ممن يسكن بغداد وقت الهجوم المغولي حيث كان خازن الكتب في المدرسة المستنصرية ومات سنة(٦٧٤ هـ) .

وأيضاً هناك شهادة الشيعة أنفسهم [نور الله المرعشي المعروف بالششتري و عبدالله الشيرازي والتي سبق نقل كلامهم] .

وقد نقل الخيانة من أهل السنة المعاصرين للحادثة ابن أبي شامة [١] .

ومن خلال الفصل الذي تكلمنا فيه عن حكم الشيعة في دماء أهل السنة وفي حكم العمل لدى سلاطينهم لا يكون هذا التصرف غريباً بل ينسجم مع هذه العقيدة ، وقد سبق نقل كلام محمد مدرسي بأن قتل الخليفة العباسي والقضاء على الخلافة العباسية ليس ذنباً بل قربة يتقرب بها الشيعي لربه [٢] .

ومما يؤيد القول بخيانة ابن العلقمي توليه الوزارة للمغولً على بغداد حيث يقول مؤرخ المغول الهمذاني [٣]: [وفي نفس اليوم الذي قتلوا فيه الخليفة أرسلوا إلى المدينة مؤيد الدين ابن العلقمي ليقوم بالوزارة ...] .

فيا ترى من الذي ميز العلقمي عن الدويدار أو سليمان باشا حتى يقتلوا ويسلم هو ويسند له تدبير أمور الدولة مع أن المدافعين عنه كانوا يظهرونه بصور العاجز عن التدخل في شئون البلد مع أنه الرجل الثاني بها مما يدل على ضعفه حسب زعم المدافعين

ومما يدل على أن الأمر ليس لقدرات شخصية أنه لما توفي بعد أشهر من دخولهم بغداد ولوا ابنه عز الدين أبو الفضل الوزارة بعده فياترى ماهي مناصبه وخبرته السابقة حتى يولى وزارة بغداد ؟!!. [١]

---

(١) ذيل الروضتين ص ٦٥٦ .

(٢) العلامة الخواجة نصير الدين الطوسي ص٦٩.

(٣) جامع التواريخ ص ٢٩٥ .

ويعترض بعضهم أن هذا ليس بدليل كاف على خيانته بل هو دليل على إخلاصه من هؤلاء الطقطقي[٢] قال : [فأن السلطان لما فتح؟!! بغداد وقتل الخليفة سلم البلد إلى الوزير وأحسن إليه وحكَّمه ، فلو كان قد خامر على الخليفة لما وقع الوثوق به] وممن ذكر هذا أيضاً جعفر خصباك وحسن الأمين،[٣] وذكروا أن هولاكو اختاره لأنه يحتاج لمن يدير المدينة له .

فيقال : أن هذا ليس الدليل الوحيد على خيانته ، وما سبق وما يأتي يعضد هذا . هذا جواب عام

و أما التفصيلي فقول ابن الطقطقي أنه لو خامر لما وثق به يقال بل حدث أن ولى هولاكو من خان أميره وهذا في قلعة ماردين حيث قاوم الملك السعيد جيوش المغول فقتله ابنه ونصب نفسه وأرسل للمغول يطلب الصلح فوافقوا وعفا عنه هولاكو وسلمه قلعة ماردين وظل عليه سلطاناً حتى عام (٦٩٥هـ)[٤] . فهذا خان أباه وقتله وهذه أشد أنواع الخيانة ومع هذا سلمه الحكم .

وأما ما ذكر جعفر خصباك وأيده الأمين في أن هولاكو عينه لحاجته إليه ؛ فلماذا لما مات وبعد أشهر فقط أي أن البلد لازال بحاجة لتوطيد واستقرار لماذا عين بدلا عنه ابنه عز الدين ؟ كما مر سابقاً.

ومما يدعم كون الوزير على علاقة بالمغول

محاولتهم رفع شأنه بين الناس بجعل داره آمنة وقت المذابح التي كانت في بغداد وذلك قبل مقتل الخليفة أي أن محاولة تمكينه كانت مقررة سلفا وقبل قتل الخليفة حيث

---

(١) انظر: الحوادث الجامعة لابن الفوطي ص٣٦٢ . وعنه أعيان الشيعة (٨٧/٩) والذي في جامع التواريخ :شرف الدين ص ٢٩٧، وكذلك في طرائف المقال للبروجردي (١٠٥/١) .

(٢) في الفخري ص٣١٣ .

(٣) انظر الغزو المغولي ص ١٠٥ ،أعيان الشيعة (١٠١/٩) .

(٤) انظر :جامع التواريخ ص ٣٢٥ .

يقول ابن الفوطي[1] : [و وضع السيف في أهل بغداد يوم الاثنين خامس صفر مازالوا في قتل ونهب و...فلم يبق...إلا القليل ما عدا النصارى ... والتجاء إليهم خلق كثير من المسلمين ... وكان ببغداد جماعة من التجار ...قد تعلقوا من قبل على أمراء المغول وكتب إليهم فرامين ...والتجاء إليهم أيضاً جماعة... وكذلك دار الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي فإنه سلم بها خلق كثير ودار صاحب الديوان ...ودار حاجب الباب ...وماعدا هذه الأماكن فأنه لم يسلم فيه أحد إلا من قن في لأبار والقنوات].

وقد ذكر الفوطي في كتابه مجمع الألقاب أن ابن أبي الحديد كان ممن خلص من القتل في دار الوزير مؤيد الدين العلقمي مع أخيه موفق الدين [2] .

ولا يبرر له كونه ليس وحيداً في هذا بل التهمة له ولغيره .

سبب هذه الخيانة

يُرجع من اتهم ابن العلقمي بالخيانة السبب إلى غضبه مما جرى على أهل نحلته" الشيعة" حيث وقع في وقت وزارته صراع بين السنة و الشيعة في بغداد عدة مرات.

المرة الأولى عام ٦٥٠ هـ [3] .

والمرة الثانية حدثت عام ٦٥٣ هـ بين أهل الكرخ وباب البصرة [4] . **والمرة الثالثة** في ذي الحجة من عام ٦٥٤ هـ حين قتل شيعة الكرخ رجلاً من السنة فشكا السنة للخليفة فأقر الخليفة بردع الجناة ولكن الجند اشتدوا على الشيعة حتى أشتكى الشيعة للخليفة فأقر بالكف عنهم ورد ما نهب منهم وقبض على مسبب الفتنة و قتل [5] .

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٥٩ ، ونقله في أعيان الشيعة (٨٧/٩).

(٢) نقلاً عن مقدمة شرح نهج البلاغة (١٨/١) .

(٣)نقله محمد التوجي في من بلاد الشام إبان الغزو المغولي ص١١٤ ، عن تاريخ المغول المختصر .

(٤) انظر: الحوادث الجامعة لابن الفوطي ص٣٢٠.

(٥) انظر: جامع الحوادث لابن الفوطي ص٣٣١ .

وكما يقول التوجي[1][إن حادثة الكرخ لاشك فيها ويذكرها المؤرخين كافة]

وكانت الغلبة في أكثر الأحيان لأهل السنة لكثرتهم ولكون الخليفة و الجيش منهم .

كل هذا جعل الوزير يغضب ويحقد على الخليفة و الدولة وقد مر معنا في الرسالة التي بينه وبين الطوسي و التي ذكر شيء منها المجلسي[2] و الذي يرى فيها ابن العلقمي أن الدولة العباسية استحقت الزوال بدلالة حديث عندهم لأنها قتلت بعض العلويين في هذه الأحداث مما يجعلنا ندرك مدى الأثر الذي تركته أحداث الكرخ في نفس ابن العلقمي وسوف يأتي معنا أيضاً موقف لبعض الشيعة يقفون في صف هولاكو مستدلين لهذا الموقف برواية أخرى مما يعطي دلالة عن نفسية القوم تجاه هولاكو بثتها معتقداتهم العامة والتي سبق ذكرها و منطلقات خاصة بشأن مسألة زوال الدولة العباسية وأحداث الكرخ الأخيرة .

وممن ذكر موقف ابن العلقمي بعد حادثة الكرخ من الدولة العباسية محمد الحسون[3]حيث قال عن كتاب الوسيلة : [والظاهر أنه كان الكتاب الرائج بين الشيعة في بغداد في القرن السابع وذلك واضح من الكتاب الذي كتبه الوزير العلقمي إلى تاج الدين ابن صلايا – وهو شيعي – وفيه فكان جوابي بعد خطابي لابد من الشنيعة بعد قتل جميع الشيعة ومن إحراق كتاب الوسيلة والذريعة] .

وقد ذكر رسالة ابن العلقمي لابن صلايا كاملة ابن الوردي في تتمة المختصر[4].

وكذلك السبكي [5]ومنها ما يلي : [وكتب الوزير إلى نائب الخليفة بإربل ... ابن

---

(١) من بلاد الشام إبان الغزو المغولي ص١٢٠ .

(٢) بحار الأنوار ٣٤١/٦٤ .

(٣) مقدمة كتاب الوسيلة لابن حمزة الطوسي والذي نشرته مكتبة آيتهم العظمى المرعشي في قم وذلك في ص ٨ .

(٤) ص ٨٨.

(٥)الطبقات الكبرى للشافعية (٢٦٣/٨) .

صـــلايا وهـــو أيضـــاً شـــيعي رســـالة يقـــول فيهـــا :نهـــب الكـــرخ المكـــرم و العـــترة والعلويـــة ، وحسن التمثيل بقول الشاعر بقول الشاعر :

أمور تضحك السفهاء منها ويبكي من عواقبها اللبيب

فلهم أسوة بالحسين حيث نهب حريمه وأريق دمه

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

وقد عزموا لا أتم الله عزمهم و لا أنفذ أمرهم ، على نهب الحلة والنيل بل سولت لهم أنفسهم أمر فصبر جميل و الخادم قد أسلف الإنذار وعجل لهم الإعذار

أرى تحت الرماد وميض نارٍ ويوشك أن يكون له ضرام

وإن لـم يطفئها عقلا قومٍ يكون وقودها جثث وهام

فقلت من التعجب ليت شعري أيقظان أمية أم نيـام

فإن يك قومنا أضحوا نياماً فقل هبوا لقد حان الحمام

..... فكـــان جـــوابي بعـــد خطـــابيً : لابـــد مـــن الشـــنيعة بعـــد قتـــل الشـــيعة ، ومـــن إحـــراق كتـــاب الوســـيلة والذريعـــة ، فكـــن لمـــا نقـــول سميعـــاً ... – إلى أن يقـــول – فلأفعلـــن بلبُـــيِّ كما قال المتنبي:

قوم إذا أخذوا الأقلام من غضب ثم استمروا بها ماء المنيات

نالوا بها من أعاديهم وإن بعدوا ما لا ينال بحد المشرفيات

ولأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ، ولأخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون

ووديعة من سر آل محمد أودعتها إذا كنت من أمنائها

فإذا رأيت الكوكبين تقاربا في الجدي عند صباحها ومسائها

فهناك يؤخذ ثأر آل محمد لطلابها بالترك من أعدائها

فكـــان لهـــذا الأمـــر بالمرصـــاد ، وترقـــب أول النحـــل وآخـــر صـــاد] أهـ . يقصـــد ﴿أَتَـــى أَمْـــرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [1] و ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ .

---

١ النحل: من الآية١

وبهذا يتبين قوة وصحة القول بتورط ابن العلقمي بالخيانة وما ذكر للاستدلال على صحة الاتهام بالخيانة هنا هو من باب إلزام الطرف الآخر ، وأما عن مقام ثبوتها لدينا فإن هذا العدد الضخم من مؤرخي الإسلام وعلمائهم والذين سبق ذكرهم والذين يثبتون تورط ابن العلقمي وخيانته كاف في إثبات الخيانة لدينا خاصة أنهم المعنيين بهذه القضية و أهل المصيبة فيها وقد قرأنا كلماتهم المملوءة أسى وحرقة على هذا المصاب الجلل فهل يرد قول هؤلاء لقلة أنكروا هذا إما لجهل بالأمر أو لموافقة في المعتقد أو لعدم اهتمام لكونه من أهل الكتاب أو ممن عمل للمغول في دولتهم .

الاتهامات الموجهة للعلقمي

فيما مضى تكلمنا عن أصل وجود الخيانة والمراسلة مع المغول وفي هذا الباب نفصل القول في التهم الموجة إليه

١- أنه قلل جند بغداد

ممن اتهمه بذلك السبكي [١] وابن كثير [٢] وكذلك الكتبي في عيون الأخبار والذهبي في دول الإسلام وغيرهم . يقول ابن كثير : [وجيوش بغداد في غاية القلة ونهاية الذلة لا يبلغون عشرة آلاف فارس هم وبقية الجيوش كلهم قد حرموا إقطاعاتهم حتى استعطى كثير منهم في الأسواق و أبواب المساجد ، وأنشد فيهم الشعراء قصائد يرثون لهم ويحزنون على الإسلام وأهله] .

---

(١) الطبقات (٢٦٢/٨) .

(٢) البداية والنهاية (٢١٤/١٣) .

وقال السبكي في الطبقات : [وحبب الوزير إلى الخليفة جمع المال والتقليل من العساكر فصار الجند يطلبون من يستخدمهم في حمل القاذورات ومنهم من يكاري على فرسه ، ليصلوا إلى ما يتقوتون به] [1].

وقد قال البكري في تاريخ الخميس: [محا اسم من ذكر من الديوان ثم نفاهم من بغداد ، ومنعهم من الإقامة بها ثم بعد شهر فعل مثل فعلته الأولى ومحا اسم عشرين ألفاً من الديوان ثم كتب إلى هولاكو بما فعل] [2] .

وبهذه الطريقة فقد تم إضعاف الجيش بسرعة كبيرة جداً ومما يساعدنا في تحديد الزمان الذي حدث فيه تسريح الجند ما كتبه ابن الفوطي[3] تلميذ الخواجة الطوسي والمعاصر للأحداث وذلك في حوادث سنة خمس وخمسين وست مئة:[وكان الخليفة قد أهمل حال الجند ومنعهم أرزقهم وأسقط أكثرهم من دساتير ديوان العرض . فآلت أحوالهم إلى سؤال الناس وبذل وجوههم في الطلب في الأسواق و الجوامع ونظم الشعراء في ذلك الأشعار .....] .

ومما يشير الى قلة جند بغداد ما كتبه ابن طباطبا الشيعي[4]عندما خرج الدويدار لملاقاة الجيش المغولي فقد وصف جنده بقوله : [وكان عسكراً في غاية القلة] .

من خلال النقل الذي كان عن ابن الفوطي يتضح أن تقليل الجيش كان في سنة (٦٥٥هـ) ومما يقوي هذا الاحتمال أن هولاكو لما وبخ القائد المغولي ((بايجو نويان)) قال له : [... إنك لم تفعل شيئاً سوى أنك رحت تخوف القوات المغولية بالمبالغة في غلبة الخليفة من قوة وعظمة] فأجبه بايجو قائلاً : [إنني لم أقصر ...

---

(١) الطبقات ٢٦٢/٨ .

(٢) نقلاً عن في محكمة التاريخ ص٣٥ .

(٣) الحوادث الجامعة ص٣٥٠ .

(٤) الفخري ص٣١١ .

وقد أخضعت ...ماعدا بغداد فإنه بسبب كثر سكانها ووفرة جيوشها وبسبب كثرة ما فيها من الأسلحة ومزيد الأهبة وبسبب الطرق الضيقة الصعبة ...]

ذكر هذا مؤرخ المغول الهمذاني [1]وأنه وقع عام خمس وخمسين وستمائة في ربيع الأول أي في أول السنة ومما يؤيد أن جند بغداد من القوة بمكان أنه في سنة (٦٤٣ هـ) هزم جيش بغداد جيشاً للمغول [2].

بل ذكر الهمذاني [3]أن هولاكو [كان يفكر في كثرة جند بغداد].

إذا فقد كان جند بغداد بالكثرة التي تستحق أن يفكر بها هولاكو وأن يخشاها بايجو ويفر منها جيش مغولي فلماذا تهاون الخليفة بأمر الجند ؟ ولماذا فكر بتوفير المال الذي كان مخصص للجند ؟ !! يقول ابن تغري بردي [4]: [أن ابن العلقمي أشار على المستعصم بقطع أرزاق الجند ، ومصانعة التتار وإكرامهم يحصل بذلك المقصود ، ولا حاجة لكثرة الجند ففعل ذلك الخليفة] .

أما كون الوزير هو الذي كان يشير بمصانعة التتار وعدم قتالهم ، ويشير بإعطائهم المال الكثير فهذا ثابت عند الذين يتهمونه وعند من يدافعون عنه ويبقى أن يقال أن التفسير المنطقي هو أن الذي دفع الخليفة لهذا العمل هو ابن العلقمي نفسه . والله أعلم خاصة أن ابن الفوطي وهو القريب من الأحداث ذكر قبل ذكره لحالة الجند السيئة التي وصلوا إليها أن الوزير أشار على الخليفة [ببذل الأموال وحملها إليه – هولاكو- مع التحف الكثيرة و الأشياء الغريبة و الأعلاق النفيسة] [5]مما يشعر بأن مشورة الوزير هي السبب في تردي حالة الجند والله أعلم .

---

(١) جامع التواريخ ص٢٦٠ .

(٢) انظر الغزو المغولي حسن الأمين ص٨٦، والحوادث الجامعة لابن الفوطي ص٢٤٠ .

(٣) في جامع التواريخ ص ٢٧٧ .

(٤)في النجوم الزاهرة (٤٨/٧) .

(٥) الحوادث الجامعة ص ٣٤٩ .

ومن الأحداث التي تثير الريبة حول ابن العلقمي الحادثة التالية [1] :[ولما تحققت أمنية حسان الدين – حاكم درتنك – التي طالما تمناها وتجمعت عنده جنود سليمان شاه تعاظم وتكبر وأرسل ابن صلايا العلوي – الشيعي الذي راسله ابن العلقمي بعد حاثة الكرخ – إلى- هكذا- حاكم إربل ليصلحه مع ديون الخليفة و قال : [لقد قدرتُ هولاكو خان ، وما هو عليه من كفاءة وكياسة ، ومهما يكن له من العنف والتهديد فليس له عندي وزن . فلو طيب الخليفة خاطري و طمأن قلبي وبعث إلى بجند من الفرسان ، لجمعت أنا أيضاً ما يقرب من مائة ألف من فرق المشاة من كرد و تركمان ولسددت الطرق في وجه هولاكو خان لا أدع أي مخلوق من جنده يدخل بغداد فعرف ابن صلايا الوزير بذلك فعرضه هذا بدوره على الخليفة فلم يبدي اهتماماً كثيراً ، ولما بلغ هولاكو خان هذا الكلام؟! ثارت ثورة غضبه ... ثم قتله المغول مع كافة أتباعه].

عدم اهتمام الخليفة بالعرض غريب إلا إن قلنا أنه كان أخذ بمشورة الوزير والتي تشير بعدم الاستعداد للقتال بل إن بذل المال يكفي ولعل هذا ما أشار به الخليفة عند عرضه لرسالة حسام الدين لأن الوزير لم يعرف عنه تغير في موقفه ألا وهو بذل المال والاستسلام للمغول مما يذكرنا بموقف نصير الدين الطوسي مع الإسماعيلية لما أقنع ركن الدين خورشاه بالتسليم فسلم نفسه فقتله هولاكو ونجا نصير الدين الطوسي . وقد يتساءل الشخص عن مدى تغلل جواسيس هولاكو في بلاط الخليفة مما جعله يعلم وبسرعة عن خيانة حسام الدين عكه له ؟!!

وبعض من يدافعون عن العلقمي يقولون إنه بذل نصحه للخليفة وأرشده للطريق الصحيح وهو بذل المال والخضوع لهولاكو لأن في هذا سلامة الخليفة والخلافة .

---

(١) جامع التواريخ ص ٢٦٧ .

والـذي ينظـر لسـيرة المغـول يـدرك ضـعف هـذا الـرأي وأنهـم لا يوثـق بهـم بـل ديـدنهم أنهـم يقتلـون كـل مـن يشـكون في كونـه قـد ينـازعهم الأمـر أو أن يكـون مـؤهلاً لهـذا فقـط حـتى لو لم يفعل شيئاً ضدهم وإليك هذه الشواهد التاريخية :

١- قتلـه لحـاكم الإسماعيليـة بعـد أن أعطـاهم الأمـان واستسـلم لـه أبقـاه مـدة حـتى أتم احتلال القلاع ثم قتله[١] .

٢- ابن صلايا العلوي نائب إربل للخليفة .

قـال ابـن الفـوطي[٢]: [وكـان قـد قصـد حضـرة السـلطان بعـد وقعـة بغـداد ليقـر رجالـه فـأمر بقتله ...] .

وينقـل المحققـان بشـار عـواد وعمـاد عبدالسـلام في حاشـية هـذا الخـبر قـول الـذهبي : [...فيقـال إن لؤلـو – صـاحب الموصـل – قـال لهولاكـو : هـذا شـريف علـوي ونفسـه تحدثه بالخلافة ولو قام تبعه الناس واستفحل أمره ؛ فقتله هولاكو]

وانظر في مسالمة ابن صلايا لهم ومحاولته تسليمهم القلعة بدون حرب ولا مقاومة[٣] .

٣- أهل قلعة حارم

قـال الهمـذاني[٤]: [ثم شـغلوا مـدة بمحاصـرة قلعـة حـارم وأخـيراً طلـب أهلهـا الأمـان لكـنهم اشـترطوا أن يقسـم لهـم فخـر الـدين المعـروف بالسـاقي علـى الأمـان لكـي ينزلـوا ، ثم سـلَّموا بنـاءً علـى عهـده وإيمانـه . فكـان أن غضـب علـيهم هولاكـو غضـباً شـديداً ، وأمـر بأن يقتلوا دفعة وحدة مع نسائهم وأطفالهم ولم ينج منهم إلا صائغ أرمني] .

---

(١) انظر حسن الأمين الغزو المغولي ص١٨، وجامع التواريخ للهمذاني ص ٢٥٧ .

(٢)الحوادث الجامعة ص ٣٦٦ .

(٣) جامع التواريخ ص ٢٩٨ .

(٤) جامع التواريخ ص ٣٠٧ .

ولذلك كان التصرف المنطقي هو عدم الأمان لعهودهم ولهذا كان موقف أمراء وحكام العديد من المناطق الإسلامية هو رفض الصلح معهم لمعرفتهم بخيانتهم فمن هؤلاء.

١- الملك السعيد حاكم ماردين

لما أرسل قائد المغول للملك السعيد يقول له : [أهبط من القلعة وقدم الطاعة والولاء لملك العالم ليبقى لك رأسك ومالك ونسائك وأبناؤك ...فأرسل الملك السعيد يقول : كنت قد عزمت على السمع والطاعة والحضور إلى الملك ، ولكن حيث إنكم قد عاهدتم الآخرين ثم قتلتموهم بعد أن اطمأنوا إلى عهدكم و أمانكم فإني لا أثق بكم ...] [١] .

٢ – الملك الكامل

قال الهمذاني[٢]: [ولما بلغوا حدود ميافارقين أرسلوا رسولاً إلى الملك الكامل ودعوه إلى الطاعة و الخضوع فأجاب الملك الكامل : ينبغي ألا يضرب الأمير في حديد بارد ..... إذ كيف أثق بابن رجل نكث العهود الميثاق مع خورشاه و الخليفة وحسام الدين عكه وتاج الدين أربل وقد جاء الملك الناصر الدين خصيصا بأمانكم فرأى في نهاية الأمر مارآى وسوف أرى أنا أيضا ما سبق أن رأوه] .

٣- السلطان قطز

قبل أن ينصرف هولاكو من الشام عائداً إلى موطنه لموت القان الأكبر أرسل رسالة إلى سلطان مصر يتهدده بها ويأمر بالتسليم فتشاور السلطان قطز مع أمرائه فمما كان في هذا الاجتماع أن قال ناصر الدين قيمري : [عن هولاكو خان ..... إنه ليس بالإنسان الذي يطمأن إليه ، فهو لا يتورع عن احتزاز الرؤوس وهو لا يفي بعهده وميثاقه ، فإنه قتل فجأة خورشاه والخليفة وحسام الدين عكه وصاحب إربل بعد أن

---

(١) جامع التواريخ ص ٣٢٤ .

(٢) جامع التواريخ ص٣١٩ .

أعطاهم العهد و الميثاق فإذا ما سرنا إليه فسيكون مصيرنا هذا السبيل .....))

وفي ختام التشاور استقر رأيهم على القتال و قد نصرهم الله في عين جالوت وتوقف المد المغولي فهذه هو الرأي الصواب مع المغول وليس ما دعا إليه ابن العلقمي حتى جعل الخليفة يحرم الجند أرزاقهم ويجمعها ليعطيها المغول [1]

وقد اعترف بأن المغول قوم ليس لهم عهد ولا ذمة الشيعي المعاصر حسن الأمين [2] حين يقول [ولكن الذي يطالب بمثل هذا ينسى أن المغول امتهنوا الشرائع وغدروا بالرسل وخانوا المستأمنين ونقضوا العهود] .

فكيف يقال إن العلقمي نصح وأرشد للخليفة حتى أن حسن الأمين نفسه يقول : [وبعد فوات الأوان يدرك المستعصم أن ما قد أشار به ابن العلقمي كان هو الصواب ، وأنه لو عمل بآرائه لما وصل الحال إلى ما وصل إليه] [3] وما هذا إلا تناقض أو هوى .

٢- ومن التهم الموجه لابن العلقمي التغرير بالخليفة ليخرج لهولاكو مع كبراء البلد ليقتلهم

فممن ذكر هذا اليونيني [4]قال: [فحينئذ أشار ابن العلقمي الوزير على الخليفة بمصانعة ملك التتر و مصالحته وسأله أن يخرج إليه في تقرير ذلك فخرج وتوثق منه لنفسه ثم رجع إلى الخليفة وقال له : إنه رغب أن يزوج ابنته من ابنك الأمير أبي بكر ويبقيك في منصب الخلافة كما أبقى سلطان الروم .... ويمكن بعد ذلك أن تفعل ما تريد وحسن له الخروج إليه في جمع من أكابر أصحابه فأنزل في خيمة ثم دخل الوزير

---

(١) جامع التواريخ ص٣١٠ وما بعدها .

(٢) الغزو المغولي ص ١٥٠ .

(٣) في محكمة التاريخ (٣٧) .

(٤) ذيل مرآة الزمان ٨٨/١ .

فاستدعى الفقهاء والأماثل ليحضروا عقد النكاح فيما أظهره فقتلوا وكذلك صار يخرج طائفة بعد طائفة] .

ونفس الاتهام في طبقات الشافعية للسبكي[1]وفي البداية و النهاية [2] لكن من غير ذكر لقصة الزواج .

ولو بحثنا في الكتب التي تعتبر حيادية أو معاصرة كمثل كتاب جامع التواريخ للهمذاني لأنه كتب من منطلق الوثائق المغولية التي جعلت تحت يده ولكونه يشغل منصب مهماً في دولتهم وكذلك كتاب جامع الحوادث لابن الفوطي لأنه معاصر للأحداث وفي بغداد ولأنه من طلاب الطوسي نفسه وغيرها نجد ما يلي

ذكر الهمذاني أن الخليفة أستشار الوزير قبل خروجه وأنه خرج ومعه ثلاثة آلاف من السادات و الأئمة و القضاة والأكابر وأعيان البلد [3] .

وذكر ابن الفوطي [4]:[خرج الوزير .... إلى خدمه السلطان فى جماعه من مماليكه وأتباعه وكانوا ينهون الناس عن الرمي بالنشاب ويقولون : سوف يقع الصلح إن شاء الله فلا تحاربوا . هذا وعساكر المغول يبالغون في الرمي ..... وعاد الوزير ... يوم الأحد – وكان قد خرج الخميس – سابع عشرين من المحرم وقال للخليفة قد تقدم السلطان أن نخرج إليه فأخرج ولده الأوسط .... فلم يقع الاقتناع به فخرج الخليفة و الوزير .... ومعه جمع كثير]

وقد ذكر ابن الفوطي قضية إخراج الفقهاء و قتلهم [5]في كتابه تلخيص مجمع الآداب ج ٤ القسم (١٩٥/٢) فقال عن عبد الله الطهراني الرازي الحنفي : [وهو ممن كان

---

(١) ٢٧٠/٨ .

(٢) ٢١٤/١٣ .

(٣) جامع التواريخ ص٢٩٠ .

(٤) الحوادث الجامعة ص٣٥٦.

(٥) انظر الحاشية ٤ في الحوادث الجامعة ص٣٩٦، وأعيان الشيعة(٨٥/٩) .

يخرج الفقهاء الى باب السور إلى مخيم السلطان هولاكو مع شهاب الدين الزنجاني ليقتلوا].

وهذا يثبت لنا أن إخراج الفقهاء و العلماء و قتلهم حقيقة ثابتة وثبت لنا أيضاإخراج العلقمي للخليفة ومعه ثلاثة آلاف وابن الفوطي هنا لم يقل أن الطهراني و الزنجاني هما فقط من فعل ذلك بل قال [ممن كان] أي هناك غيرهم .

وإذا احتج علينا محتج بأن هؤلاء محسوبون على أهل السنة نقول نعم ولكن ما هو موقف أهل السنة ممن تعاون مع المغول هل هو الإجلال و التقدير كما فعله الشيعة مع الطوسي و العلقمي أم الذم [1].

وقد قتل بعض الشباب في حلب رئيس حلب وآخر لتواطئهما مع المغول[2] .

ومما هو معلوم حتى عند المدافعين عن ابن العلقمي أن خروج الخليفة كان بتطمين الوزير للخليفة بعهود هولاكو ولا أدري لماذا يخرج ثلاثة آلاف رجل لعقد صلح إلا أن كانوا فعلاً قد خرجوا للسبب الذي ذكره بقية المؤرخين .

وكما تلاحظ فلا يوجد تعارض بل قصارى الأمر أن هؤلاء لم يذكروا القضية أو العهد و الاتفاق الذي جرى بين هولاكو و الوزير وبموجبه خرج الخليفة معه ثلاثة آلاف من أعيان البلد و أما مؤرخو أهل السنة فقد ذكروه وهو سبب وجيه لخروج هذا العدد

والله اعلم بعد أن تبين لنا موقف الرجلين وحتى تكتمل الصورة نذكر موقف بقية علماء الشيعة

---

(١) ولذا نرى محقق الحوادث الجامعة يقول بعد نقله للنص السابق في الحاشية انه ابتلي بمرض لقي منه مشاقة عظيمة حتى توفي قال [فهذا والله أعلم بعض جزائه في الدنيا .....] ص ٣٩٦ .

(٢) انظر: بلاد الشام إبان الغزو المغولي محمد التونجي ص ١٥٤ .

الباب الخامس

موقف بقية علماء الشيعة

إن ما حدث للمسلمين في بغداد هو نكبة بمعنى الكلمة كما مر معنا

و بهذا يقول بعض الشيعة منهم علي الطباطبائي –وان كان فيهم من عد هذا نصر يفرح القلب كالخونساري وغيره –

ففي رياض المسائل [1]يقول الطبطبائي: (" أولا " سقوط بغداد : في سنة ٦٥٦ ه سقطت بغداد حاضرة العالم الإسلامي بيد التتار بقيادة " هولاكو " . وكان سقوط بغداد واحدة من أعظم النكبات التي حلت بالعالم الإسلامي منذ ظهور الإسلام إلى اليوم

(١) ٢/ ٧ .

الحاضر وكان التخريب الحضاري والثقافي والاقتصادي والسكاني الذي حل بعاصمة العباسيين في هذا الهجوم بمقاييس ذلك التأريخ من أوسع ما حل بالحواضر البشرية ، وقد قدر عدد القتلى في هذه المجزرة الرهيبة كما يقول اليافعي بألف ألف وثمانمائة وكسر وإذا كان في هذا التقدير ثمة شئ من المبالغة فمما لا ريب فيه أن الخسائر البشرية كبيرة جدا " وفادحة بمقاييس الخسائر الحربية في ذلك التاريخ . وقد استمر القتل والنهب سبعة أيام " ثم رفعوا السيف وبطلوا السبي " وقيل : إن القتل والنهب والسبي استمر نيفا " وثلاثين يوما " وقيل : أربعين يوما " . يقول الدكتور حسن إبراهيم حسن : وقد أعمل جند المغول السيف في رقاب أهل بغداد أربعين يوما " سلبوا فيها أموالهم وأهلكوا كثيرين من رجال العلم وقتلوا أئمة المساجد وحملة القرآن وتعطلت المساجد والمدارس والربط ، وأصبحت المدينة قاعا " صفصفا " ، ليس فيها إلا فئة قليلة مشردة الأذهان . .... فقد كانت بغداد مركزا " من أعظم مراكز الإشعاع الفكري في العالم كله في ذلك التاريخ من دون مبالغة ، وقد أحرق التتار كلما وجدوا في بغداد من علم ومن مراكز للعلم ، كما قتلوا كل من عشروا عليه من العلماء أو كل من كان في بغداد من العلماء ، وليس بإمكان أحد أن يقدر ضخامة الخسارة التي لحقت بالفكر والثقافة الإسلامية والبشرية في هذه النكبة . يقول قطب الدين الحنفي : تراكمت الكتب التي ألقاها التتار في نهر دجلة حتى صارت معبرا " يعبر عليه الناس والدواب واسودت مياه دجلة بما القي فيها من الكتب)

أقول وبعد الذي سمعته إذا بك تسمع من الطرف الآخر من يحدثك عن نهضته التي بدأت وعن الازدهار الذي لحق مذهبه والأعداد الكبيرة لمجتهديه والذي لا أدري أين كانوا عند المعركة ولماذا لم يكونوا من ضمن الذين قتلوا .

أقول كل هذا يجعلنا نلتفت لحال الشيعة بعد دخول المغول وخاصة بعد الاستيلاء على بغداد مباشرة وهل أصابهم ما أصاب غيرهم وإليك هذه النصوص التي توضح شيء من حالهم ابن الغزو المغولي :

قال ابن العبري[1]: (وأمر هولاكو البتيكتجية ليكتبوا على السهام بالعربية : إن الأركاونية – نسبة إلى دهقان – والعلويين والداذنشمدية وبالجملة كل من ليس يقاتل فهو آمن على نفسه وحريمه وأمواله) .

وقد يقال إن هذا لتفريق الصف فيقال لعل هذا صحيح لكن كونه يدخل الشيعة معهم دليل على معرفته قابليتهم للتعاون معه وخيانة الخلافة

ويحدثنا علي الطباطبائي [2]عن تحركات الشيعة وموقفهم من الغزو المغولي في أهم المدن الشيعية القريبة من بغداد – الحلة – فيقول: (وكانت مدينة الحلة يومذاك ... مركزا " معروفا " للشيعة يسكنها في أوان هذه المحنة علماء بارزون من الشيعة من أمثال المحقق الحلي والإمام سديد الدين يوسف بن علي بن مطهر – والد العلامة – والإمام رضي الدين ابن طاووس والسيد مجد الدين محمد بن الحسن بن طاووس والفقيه ابن أبي العز ، وغيرهم من رجال ... فأدرك هؤلاء ضرورة التحرك السريع لدرء الخطر المقبل ، وامتصاص ضراوة التتار ونقمتهم ، والعمل على دفع هجوم التتار من سائر بقاع العراق ، ولا سيما المراكز الدينية منها . ... فاستقر رأي علماء الشيعة وعلمائها في الحلة[3] على أن يكتبوا إلى هولاكو كتابا " يطلبون منه الأمان للحلة وما والاها من المناطق .

الوفد الأول : يقول العلامة الحلي – رحمه الله – في كتابه " كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين " : لما وصل السلطان هولاكو إلى بغداد قبل أن يفتحها هرب أكثر الحلة إلى الطبائح إلا القليل ، فكان من جملة القليل والدي – رحمه الله – والسيد مجد الدين ابن طاووس والفقيه ابن أبي العرفاء ، اجتمع رأيهم على مكاتبة السلطان بأنهم مطيعون

---

(١) تاريخ مختصر الدول ص ٢٣٧،و أعيان الشيعة ٨٨/٩ .

(٢) كتابه رياض المسائل (٢/ ٢١- ٢٥) .

(٣) وهذا في رد على من شكك في سعي علماء الشيعة لهادنة ومصالحة هولاكو بحجة أن المصادر التي ذكرتها سنية. انظر:سقوط الدولة العباسية لسعد الغامدي ص ٣٣١- ٣٣٢ .

داخلون تحت الايلية ، وأنفذوا به شخصا " أعجميا " ، فأنفذ السلطان إليهم فرمانا " مع شخصين أحدهما يقال له : نكلة ، والآخر يقال له : علاء الدين ، وقال لهما : قولا لهم : إن كانت قلوبكم كما وردت به كتبكم تحضرون إلينا ، فجاء الأمير أن فخافوا لعدم معرفتهم بما ينتهي الحال إليه . فقال والدي – رحمه الله – : إن جئت وحدي كفي ؟ فقالا : نعم ، فاصعد معهما . فلما حضر بين يديه وكان ذلك قبل فتح بغداد وقبل قتل الخليفة قال له : كيف قدمتم على مكاتبتي والحضور عندي قبل أن تعلموا بما ينتهي إليه أمري وأمر صاحبكم ؟ وكيف تأمنون أن يصالحني ورحلت عنه ؟ فقال والدي : إنما أقدمنا على ذلك لأنا روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال في خطبته : الزوراء ، وما أدراك ما الزوراء ، أرض ذات أثل يشيد فيها البنيان ، وتكثر فيها السكان ، ويكون فيها مهادم وخزان ، يتخذها ولد العباس موطنا " ، ولزخرفهم مسكنا ، تكون لهم دار لهو ولعب ، يكون بها الجور الجائر والخوف المخيف و الأئمة الفجرة والأمراء الفسقة والوزراء الخونة ، تخدمهم أبناء فارس والروم ، لا يأمرون بمعروف إذا عرفوه ، ولا يتناهون عن منكر إذا نكروه ، تكتفي الرجال منهم بالرجال والنساء بالنساء ، فعند ذلك الغم العميم والبكاء الطويل والويل والعويل لأهل الزوراء من سطوات الترك ، وهم قوم صغار الحدق ، وجوههم كالمجال المطوقة ، لباسهم الحديد ، جرد مرد ، يقدمهم ملك يأتي من حيث بدا ملكهم ، جهوري الصوت ، قوي الصولة ، عالي الهمة ، لا يمر بمدينة إلا فتحها ، ولا ترفع عليه راية إلا يكشفها ، الويل الويل لمن ناوأه ، فلا يزال كذلك حتى يظفر . فلما وصف لنا ذلك ووجدنا الصفات فيكم رجوناك فقصدناك "،

أليس هذا تشجيعا لهذا الطاغية على الاستمرار في قتاله ؟!!.

ويتابع القصة ويقول : " فطيب قلوبهم ، وكتب لهم فرمانا " لهم باسم والدي – رحمه الله – يطيب فيه قلوب أهل الحلة وأعمالها.

الوفد الثاني : وهناك رواية أخرى بشأن الوفد الذي التقى هولاكو من مدينة الحلة ، وبناء على هذه الرواية يتكون الوفد من جمع من وجهاء العلويين بصحبة السيد مجد الدين ابن طاووس الذي ألف فيما بعد كتاب " البشارة " وأهداه إلى السلطان المغولي درء لشره وأذاه عن المسلمين . وهذه الرواية يرويها المؤرخ المعروف ابن الفوطي في " الحوادث الجامعة " . ولما كانت الرواية الأولى من رواية العلامة الحلي وهو شاهد وحاضر في هذه القصة ، وكان الأمر يتعلق بوالده الإمام سديد الدين ابن المطهر ، وليس لدينا من سبب للتشكيك في إسناد كتاب " كشف اليقين " إلى العلامة الحلي .... كمالا سبيل للتشكيك في رواية ابن الفوطي ، فإن الشيخ كمال الدين عبد الرزاق ابن الفوطي عاصر هذه الكارثة (٦٤٦ - ٧٠٠ هـ) وهو راوية ثقة وليس من سبيل للتشكيك في صحة روايته . وعليه فنحن نتصور أن الحلة أوفدت إلى هولاكو وفدين ، وليس وفدا " واحدا " : الوفد الأول برئاسة الإمام سديد الدين ابن المطهر والد العلامة - رحمهما الله - (أو الإمام سديد الدين وحده كما يظهر من رواية العلامة) . والوفد الثاني برئاسة السيد مجد الدين ابن طاووس صاحب كتاب " البشارة " . وكان الوفد الثاني وفدا " كبيرا " يتكون من جمع من وجهاء العلويين ، يترأسهم السيد مجد دين السيد مجد الدين ابن طاووس ، ويبدو أن هذا الوفد التقى هولاكو بعد أن اطمأنوا إلى هولاكو ، ومهما يكن من أمر فسوف نستعرض قصة الوفد الثاني برواية ابن الفوطي

يروي ابن الفوطي أنه في سنة ست وخمسين وستمائة سار السلطان هولاكوخان من بلاده نحو بغداد ، وكان أهالي الحلة والكوفة قد انتزحوا إلى البطائح بأولادهم وما قدروا عليهم من أموالهم ، وحضر أكابر من العلويين والفقهاء مع مجد الدين ابن طاووس العلوي إلى حضرة السلطان وسألوا حقن دمائهم فأجاب سؤالهم وعين لهم شحنة ، فعادوا إلى بلادهم وأرسلوا إلى من في البطائح من الناس يعرفونهم لهم شحنة ، فعادوا إلى بلادهم ، وأرسلوا إلى من في البطائح من الناس يعرفونهم ذلك ، فحضروا بأهليهم وأموالهم وجمعوا مالا عظيما " وحملوه إلى السلطان ويقول النسابة الشهير السيد جمال الدين أحمد بن علي

بن الحسين المعروف بابن عنبة المتوفى سنة (٨٢٨) في ترجمة مجد الدين ابن طاووس : خرج إلى السلطان وصنف له كتاب " البشارة " وسلم الحلة والنيل والمشهدين الشريفين من القتل والنهب -أماكن شيعية فقط -، ورد إليه حكم النقابة بالبلاد الفراتية ، فحكم في ذلك قليلا " ثم مات

الوفد الثالث : وهناك وفد ثالث أعظم منهما ترأسه الإمام الزاهد رضي الدين ابن طاووس - رحمه الله - وقد صحبه في هذا الوفد نحو ألف من الناس . ويظهر من الرواية أن السيد رضي الدين التقى هولاكو هنا المرة برغبة من هولاكو نفسه ، وقد أولاه هولاكو في هذه المقابلة نقابة العلويين ، ولنذكر الحديث برواية رضي الدين ابن طاووس - رحمه الله - نفسه في كتابه الكبير " الإقبال " : فصل فيما نذكره عن يوم الثامن والعشرين من محرم ، وكان يوم الاثنين سنة ست وخمسين وستمائة **فتح** ملك الأرض بغداد ، وكنت مقيما " بها في داري بالمقيدية ، وبتنا في ليلة هائلة من المخاوف الدنيوية ، فسلمنا الله جل جلاله من تلك الأهوال ، ولم نزل في حمى السلامة الإلهية وتصديق ما عرفناه من الوعود النبوية . . . إلى أن استدعاني ملك الأرض إلى دركاته في صفر وولاني على العلويين والعلماء والزهاد ، وصحبت معي نحو ألف نفس ومعنا من جانبه من حمانا ، إلى أن وصلت الحلة ظافرين بالآمال ، وقد قررت مع نفسي أنني اصلي في كل يوم من مثل اليوم المذكور ركعتي الشكر للسلامة من ذلك المحذور" (١) .

ويقول الهمذاني (٢):" وأثناء حصار بغداد كان قد قدم إليه بعض العلويين والفقهاء من الحلة –كلها شيعة – و التمسوا إليه أن يعين لهم شحنة ، فأرسل إليهم هولاكوخان بوكله والأمير بجلي النخجواني ، وأوفد على أثرهما بوقاتيمور أخا اولجاي خاتون لجس

---

(١) انظر: الحوادث الجامعة لابن الفوطي ص ٣٦٠ ،منتهى الطلب للحلي ٣/ ١٤ .

(٢) جامع التواريخ ص٢٩٥-٢٩٦ وممن نقل هذا الفرح العارم محقق الدروس للشهيد الأول: ١٣/١، و صاحب كتاب تاريخ العراق بين احتلالين: ١ / ٢٠٥ - ٢٠٦ ".

نبض أهالي الحلة والكوفة وواسط ، والوقوف على مدى إخلاصهم فاستقبل أهل الحلة الجند ،و أقامو جسرا على الفرات وأقاموا الأفراح ابتهاجا بقدومهم ولما شاهد بوقاتيمور إخلاصهم وثباتهم رحل في العاشر من صفر وتوجه إلى واسط فبلغها في السابع عشر ولكن أهلها لم يدخلوا في الطاعة فقتل ما يقرب من أربعين ألف شخص .... وألتمس الأمير سيف الدين البيتكجي إلى الحضرة أن يرسل مائة مغولي إلى النجف ليحافظوا على مشهد أمير المؤمنين رضي الله عنه وعلى أهل تلك البلدة " .

وهكذا نرى هذه الحماية تحوط أماكن الشيعة بعد تمكن الجيش المغولي ثم يأتي من يستدل لنزاهة الوزير بمن قتل من العلويين والشيعة في بغداد(١)

وهذا يعلم بطلانه لأن الحرب يحدث فيها من الأخطاء الشيء الكثير خاصة إذا راعيت طبيعة المغول الهمجية واستباحتهم العامة للمدن .

و أيضا إن طبيعة العلاقة بين الوزير و هولاكو كانت سرية مما يجعل بعض الشيعة والعلويين يتصرف مع المغول التصرف الطبعي من الدفاع عن نفسه فيقتل وقد سبق معنا كيف أنقذ ابن العلقمي زميله ابن أبي الحديد لما أمر المغول بقتله وأخيه (٢) أو أن منهم من لم يكن يرضى بهذه الخيانة الدنيئة ولا علم بها .

وقد ذكرالمظفر (٣):" ذهاب الوفد الشيعي برئاسة ابن طاووس وقال المظفر أيضا (٤):" فسلمت الحلة والمشهدان المقدسان " وأنظر ص ٢١٣ وقال فيها " وكلها شيعة " .

---

(١) انظر الغزو المغولي لحسن الأمين ص١٠٢ .

(٢) سبقت في ص .

(٣) تاريخ الشيعة ص٩٤ .

(٤) ص٩٤ .

وابن طاووس هذا – له هذا الفتوى والتي في هامش كتاب الإمام جعفر الصادق لعبد الحليم الجندي ص ٣٢٤ قال : " لما فتح هولاكو بغداد استفتى العلماء : أيهما أفضل . السلطان الكافر العادل أو السلطان المسلم الجائر ؟ فجمعوا لذلك بالمدرسة المستنصرية . وكان على بن طاووس حاضرا . وهو المقدم المحترم . فتناول الفتيا ووضع خطه عليها بتفضيل العادل الكافر على المسلم الجائر . ووضع العلماء خطوطهم على ذلك ." ومما يذكر هنا أن " عامة أهل بغداد بعد استسلام الخليفة أرسلوا شرف الدين المراغي وشهاب الدين الزنكاني ليأخذ لهم الأمان " ولكن هل كان لهم ما كان لأهل الحلة وغيرها من أماكن الشيعة لا بل كان مصيرهم النهب والسلب والقتل [١] .

ومما يجد التنبيه عليه احتجاجهم لعدم مناصرتهم للخليفة بان الحديث الذي ذكره الحلي هو في هذه الواقعة فإن لم يكن يعتقد أن هذا التأويل للحديث صحيحا فهو تحريف للدين –الذي يدين به هو – وتلاعب وان كان يؤمن به إيماننا جازما فالدافع إذا لتعاونهم مع المغول شرعي بحسب نظرتهم لان الخليفة استحق العقاب الإلهي ولم تكن القضية حماية الأنفس ومما يلاحظ إن هذا كان منهم قبل دخول بغداد وقبل مقتل الخليفة حتى أن هولاكو راجعهم في ذلك لينظر صدقهم في طلبهم ولما دللوا لرأيهم بالرواية التي عندهم صدقهم

وهذا ليست الرواية الوحيدة التي يستدلون بها على استحقاق الخلافة للسقوط بل ذكر المجلسي [٢]:" عن أبي بصير قال : كنت مع أبي جعفر عليه السلام جالسا في المسجد إذ أقبل داود ابن علي ، وسليمان بن خالد ، وأبو جعفر عبد الله بن محمد أبو الدوانيق ، فقعدوا ناحية من المسجد فقيل لهم : هذا محمد بن علي جالس فقام إليه داود بن علي وسليمان بن خالد ، وقعد أبو الدوانيق مكانه ، حتى سلموا على أبي جعفر عليه السلام

---

(١) على ما مر في أول الرسالة ص ، وانظر مختصر تاريخ الدول لابن العبري ص ٢٣٧ .

(٢) بحار الأنوار (٤٦ /٣٤١) .

فقال لهم أبو جعفر : ما منع جباركم من أن يأتيني ؟ فعذروه عنده ، فقال عند ذلك أبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام : أما والله لا تذهب الليالي و الأيام ، حتى يملك ما بين قطريها ثم ليطأن الرجال عقبه ، ثم ليذلن له رقاب الرجال ، ثم ليملكن ملكا شديدا . فقال له داود بن علي : وإن ملكنا قبل ملككم ؟ قال : نعم يا داود إن ملككم قبل ملكنا وسلطانكم قبل سلطاننا فقال له : أصلحك الله هل له من مدة فقال : نعم يا داود والله لا يملك بنو أمية يوما إلا ملكتم مثليه ، ولا سنة إلا ملكتم مثليها ، ولتتلقفها الصبيان منكم ، كما تتلقف الصبيان الكرة ، فقام داود ابن علي من عند أبي جعفر عليه السلام فرحا يريد أن يخبر أبا الدوانيق بذلك ، فلما نهضا جميعا هو وسليمان بن خالد ، ناداه أبو جعفر عليه السلام من خلفه : يا سليمان بن خالد لا يزال القوم في فسحة من ملكهم ، ما لم يصيبوا منا دما حراما ، وأومأ بيده إلى صدره ، فإذا أصابوا ذلك الدم فبطن الأرض خير لهم من ظهرها ، فيومئذ لا يكون لهم في الأرض ناصر ، ولا في السماء عاذر . ثم انطلق سليمان بن خالد فأخبر أبا الدوانيق ، فجاء أبو الدوانيق إلى أبي جعفر عليه السلام فسلم عليه ثم أخبره بما قال له داود بن علي وسليمان بن خالد فقال له : نعم يا أبا جعفر ، دولتكم قبل دولتنا ، وسلطانكم قبل سلطاننا ، سلطانكم شديد عسر لا يسر فيه ، وله مدة طويلة ، والله لا يملك بنو أمية يوما إلا ملكتم مثليه ولا سنة إلا ملكتم مثليها ، ولتتلقفها صبيان منكم فضلا عن رجالكم ، كما تتلقف الصبيان الكرة أفهمت ؟ ثم قال : لا تزالون في عنفوان الملك ترغدون فيه ، ما لم تصيبوا منا دما حراما ، فإذا أصبتم ذلك الدم غضب الله عزوجل عليكم فذهب بملككم وسلطانكم ، وذهب بريحكم ، وسلط الله عليكم عبدا من عبيده أعور ، و ليس بأعور من آل أبي سفيان ، يكون استئصالكم على يديه وأيدي أصحابه ، ثم قطع الكلام. (ثم قال المجلسي) . قوله عليه السلام : ما لم تصيبوا منا دما حراما : المراد إما قتل أهل البيت عليهم السلام و إن كان بالسم مجازا بأن يكون قتلهم عليهم السلام سببا لسرعة زوال ملكهم ، وإن لم يقارنه أو لزوال ملك كل واحد منهم فعل ذلك أو

قتل السادات الذين قتلوا في زمان الدوانيقي والرشيد وغيرهما . ويحتمل أن يكون إشارة إلى قتل رجل من العلويين قتلوه مقارنا لانقضاء دولتهم ، كما يظهر مما كتب ابن العلقمي إلى نصير الدين الطوسي رحمهما الله قوله عليه السلام : وذهب بريحكم : قال الجوهري قد تكون الريح بمعنى الغلبة و القوة ، ومنه قوله تعالى " وتذهب ريحكم " قوله عليه السلام أعور أي الدني الأصل السيئ الخلق ، وهو إشارة إلى هلاكو ، قال الجزري فيه لما اعترض أبو لهب على النبي صلى الله عليه وآله عند إظهار الدعوة قال له أبو طالب : يا أعور ما أنت وهذا ؟ لم يكن أبو لهب أعور ولكن العرب تقول للذي ليس له أخ من أبيه وأمه أعور ، وقيل إنهم يقولون للردي من كل شيء من الأمور والأخلاق أعور وللمؤنث عوراء . قوله عليه السلام : وليس بأعور من آل أبي سفيان : أي ليس هذا الأعور منهم بل من الترك ." .

فالمنطلقات شرعية شيعية بحتة وزادها الحقد على الخلافة ما جرى في الكرخ

وعندما يذكر الطبطبائي القتل للعلماء وأئمة المساجد و....و.. فإن هذا لا يشمل الشيعة لماذا ؟

لأنه بعد العزو مباشرة يتكلمون عن عصر الازدهار والنمو لمذهبهم .

فيقول علي الطباطبائي [1]:مدرسة الحلة : كان واحدا " من أبرز نتائج الخطة التي رسمها علماء الشيعة لمواجهة الغزو المغولي أن المغول لم يتمكنوا من القضاء على العلم في بغداد . فقد كانت بغداد أعظم مراكز العلم في العالم الإسلامي على الإطلاق ، ولو كان التخريب الذي أصاب سائر مرافق الحياة في بغداد كان يصيب مراكز العلم في بغداد لعظمت محنة المسلمين في هذه الكارثة أضعافا " مضاعفة . ولكن الذي حدث أن الحلة استطاعت أن تكسب أمان السلطان المغولي ، واستطاع علماء الشيعة أن ينقلوا ما تبقى من مراكز العلم والكتب والعلماء في بغداد إلى الحلة ، وكان للمحقق نصير الدين الطوسي – رحمه الله – الذي احتبسه السلطان لنفسه والذي كان يحضى باحترام كبير من

(١) رياض المسائل (٢/٢٧) .

قبل هولاكو الدور الكبير في إنقاذ ما أمكن إنقاذه من العلماء والمكتبات في بغداد وقد أصبحت الحلة منذ هذا التاريخ مركزا " علميا " من كبريات مراكز العلم في العالم الإسلامي ، وازدهرت هذه المدينة بالفقهاء والمحدثين والمفسرين والحكماء والأدباء والشعراء وبالمدارس العلمية ، وحفلت هذه المدارس بأعداد كبيرة من شباب الطلبة الوافدين إلى الحلة من الشام وإيران والمدن العراقية والجزيرة . وقد بنى السيد فخار بن معد الموسوي مجمعا " سكنيا " لطلبة العلوم الإسلامية وكان يحضر درس المحقق الحلي كما يقول السيد الصدر – على ما في أعلام العرب أربعمائة من المجتهدين الجهابذة – وهكذا نعلم من العلماء والفقهاء الذين قتلوا – .... وكانت الحركة العلمية في عصره بلغت شأوا " عظيما " حتى صارت الحلة من المراكز العلمية في البلاد الإسلامية. وهذه الفترة التي نتحدث عنها الفترة هي التي تعقبت كارثة سقوط بغداد مباشرة .... ويقول السيد الصدر أيضا " عن الحلة في نفس العصر عن تلامذة العلامة الحلي – رحمه الله – : وخرج عن عالي مجلس تدريسه خمسمائة مجتهد .... ولا نريد أن نطيل الحديث في مدرسة الحلة فإن هذه المدرسة جاءت بديلا عن مدرسة بغداد وخليفة لها وحلت محلها ، واستطاعت ان تجتذب ما تناثر من بغداد من العلم والعلماء بعد كارثة سقوط بغداد . " .

قال محمد المظفر(١):"وصار التشيع بعد أيام العباسية يقوى في العدة والعدد والمذهب في بغداد " .

ولكثرة اهتمام هولاكو بالمذهب الشيعي ظن بعضهم أنه قد تشيع من هؤلاء عبدالرسول الغفاري(٢):حيث يقول"توالت الأحداث على بغداد فالتجأ الشيعة فيها إلى أن يتقوا خصومهم ، ويدفعوا شرهم بمختلف الأساليب ، ومع ذلك لم يسلموا

---

(١) انظر: تاريخ الشيعة ص٧٧ .

(٢) الكليني والكافي ص ٧٧ .

من بطشهم والفتك بهم إلى أن جاء المغول ،ودخول هولاكو الذي لم يكن ليقيم وزنا للعقائد والأديان من قبل،ثم اهتدى حتى أصبح زمنه باعثا لانتشار التشيع مرة أخرى، وقد اعتنق بعض ملوك المغول مذهب التشيع،كنيقولاوس بن آرغون بن بغا بن هولاكو " .

وفي مقدمة خلاصة الأقوال(١) للحلي يقول المحقق :" ألف السيد مجدالدين محمد بن طاووس كتاب البشارة وأهداه إلى هولاكو ، فأنتجت هذه الخطوة أن رد هولاكو شؤون النقابة إلى هذا السيد ، وبعدها قام الخواجه نصير الطوسي بإقناع هولاكو باعتناق الدين الإسلامي ، فاسلم هولاكو ومن معه من المغول" .

وكذلك في مقدمة كتاب(٢) :" يقول :" وأثمرت هذه الخطوة ببركة نصير الدين الطوسي أن أسلم الملك هولاكو وكثير من المغول ".

ويرد على هؤلاء شيخهم محمد المظفر (٣)حين يقول " ولما أطلق هولاكو للأديان والمذاهب الحرية ، ومنها مذهب أهل البيت ولم يتعرض بسوء لأهل الحلة والمشهدين الشريفين ... وكلهم شيعة ، حسب البعض انه اسلم واعتنق مذهب التشيع إلا أن ذلك وهم " .

ومقصودنا تصور مدى النفوذ الذي بلغه هؤلاء بعد الاستيلاء على بغداد ومدى الحظوة التي نالوها في بلاط المغول مما يجعلنا نتساءل لماذا ؟ وألم يكن هذا مقابل الإخلاص والولاء !!

بهذا يظهر بجلاء موقف الشيعة المتخاذل بل المستفيد من دخول المغول لبغداد مقدمين مصالحهم المذهبية على مصلحة المسلمين فتكون الصورة واضحة لذي عينين في أن

---

(١) ص ٧ .

(٢) مختلف الشيعة – العلامة الحلي (١/١٥) .

(٣) تاريخ الشيعة ص ٢١٣ .

موقف ابن العلقمي والطوسي المستغل بل المستحث للغزو المغولي ليس ببدعا أو شاذا عن الموقف الشيعي العام في العراق

الخاتمة

في الختام أحب أن أنبه إلى أنه عندما نذكر خيانة ابن العلقمي والطوسي لا يعني ألبتة قصر واختزال أسباب سقوط الخلافة في هذا السبب بل هناك أسباب عديد جديرة بالبحث ولكن كما يحذر من تلك الأسباب يجب أن يحذر من هذا الصنف من الوزراء والمستشارين الذين تحركهم عقائد و مبادىء مذهبية يؤمنون بها حتى لو لم يظهروها نصيحة لولاة الأمور ثم نلفت نظر حكام أهل السنة أن سياسة تقريبهم لكف شرهم سياسة غير محمودة العواقب وقد عمل بها بني أمية فكانت من أسباب زوال ملكهم فعلق أحدهم على هذا فقال (قربنا عدونا لنأمن شره وأبعدنا القريب ثقة بمودة فعادانا القريب وتقوى علينا العدو)

ولأهمية مقام الوزارة في الحكم فقد أولته الشريعة الإسلامية اهتماما خاصا

فمن هذا قوله تعالى عن موسى عليه السلام

{قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي *وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا * قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى * وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى }سورة "طه"

فانظر إلى الحِكم من وجود الوزير

شد الأزر به - زيادة الطاعة والعمل الصالح لوجود المعين والمذكر والمشجع –ثم الله تعالى يعد وجود الوزير الصالح المعين هو من المنن العظيمة التي يمن بها على عبادة الصالحين

وأما في السنة الصحيحة ففيها

ما جاء في صحيح البخاري [1] عن أبي سعيد الخُدريِّ عن النبيِّﷺ قال: «ما استُخلِفَ خَليفةٌ إلا لهُ بِطانَتان: بطانةٌ تأمرُه بالخير وتحُضهُ عليه، وبطانةٌ تأمرُه بالشرِّ وتحضُّه عليه، والمعصومُ مَن عَصَم اللّه».

وفي المسند للإمام أحمد [2] عن عبد الله بن مليل قال : سمعت علياً رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس من نبي كان قبلي إلا قد أعطي سبعة نقباء وزراء نجباء ، وإني أعطيت أربعة عشر وزيراً نقيباً نجيباً ، سبعة من قريش ، وسبعة من المهاجرين » .

وفي سنن أبي داود[3] عن عَائِشَةَ ، رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إذَا أرَادَ الله بِالأَمِيرِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيراً صِدْقٍ، وَإنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ وَإنْ ذَكَرَ أعَانَهُ، وَإذَا أرَادَ الله بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ، إنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ وَإنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْ " وهو في النسائي (٤٢٠٩)

ولأهمية الوزارة في تثبيت دعائم الحكم أولاها العلماء اهتماما كبيرا نصحا للولاة ومن هذا ما ذكره ابن قتيبة [4]رحمه الله قال: " وفي التاج أن أبرويز كتب إلى ابنه شيرويه من الحبس :" ليكن من تختاره لولايتك ... ولا تجعله امرأ أصبته بعقوبة فاتضع عنها ولا امرأ أطاعك بعد ما أذللته ولا أحدا ممن يقع في خلدك أن إزالة سلطانك أحب له من ثبوته " .

---

(١) برقم : ٦٦١١ .

(٢) ٨٨/١ .

(٣) برقم : ٢٩٣٢ .

(٤) عيون الأخبار ١٥/١ .

وقال الأمير الأديب ابن منقذ [1]:{ وقالوا إن السلطان إذا كان حازما – [2] ووزراؤه وزراء سوء منعوا خيره من الناس فلم يجتر عليه أحد ولم يدن منه ، وإنما مثله في ذلك كالماء الصافي الطيب الذي فيه التماسيح فلا يستطيع أحد – وإن كان سابحا وكان إلى الماء محتاجا – أن يدخله وإنما حلية الملوك وزينتهم أصحابهم : أن يكثروا ويصلحوا } .

وقال أيضا [3]ص ٤٧ :{ وقالت الحكماء : إياك والثقة بعدوك إذا صالحك وأظهر لك غاية النصح فإن صلح العدو لا يسكن إليه ولا يغتر به فإن الماء لو سخن فأطيل اسخانه لم يمنعه من إطفاء النار إذا صب عليها ، و إنما صاحب العدو المصالح كصاحب حية يحملها في كمه } .

وقال أيضا: { روي أن بعض ملوك الفرس سأل حكيما من حكمائهم :..... فما صلاح الملك ؟

قال: وزراؤه أصوله ؛ فإن هم فسدوا فسد وإن هم صلحوا صلح ...} .

وقال أيضا: { وقال أردشير : حقيق على كل ملك أن يتفقد وزيره ونديمه وحاجبه وكاتبه :فإن وزيره قوام ملكه .....}

وقال أيضا: { وقال بزرجمهر : من حق الملك أن يستوزر من يحفظ دينه ويستبطن من يحفظ سره } .

وقال أيضا: { وأربعة لا يثبت معها ملك : غش الوزير . وسوء التدبير. وخبث النية . وظلم الرعية} .

وقال أيضا: {لا تقطع قريبا وإن كفر . ولا تأمن عدوا وإن شكر } .

---

(١) كتابه لباب الآداب ص٤١ والنقولات التالية من نفس الكتاب انظر من :ص ٤١إلى ص ٦٨ .

(٢) في العقد الفريد صالحا ١/ ٣٣ .

(٣) .

وقال أيضا: {قال أبو الحسن ...الصاغاني ...في الاستعانة على حسن السياسة : آفة الملوك سوء السيرة . وآفة الوزراء سوء السريرة ...} .

وقال أيضا : { من خانه الوزير فاته التدبير } .

وقال ابن عبد ربه [1]:{ وقال الأحنف بن قيس : من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء ومن غص بالماء فلا مساغ له ، ومن خانه ثقاته فقد أتي من مأمنه .

وقال العباس بن الأحنف :

قلبي إلى ما ضرني داعي **** يكثر أحزاني وأوجاعي

كيف احتراسي من عدوي إذا **** كان عدوي بين أضلاعي}

وفقه الله حكامنا لكل خير وألهمهم الرشد والحق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين

(١) العقد الفريد: ٢٣/١ ، وانظر أيضا روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان ص ٢٧٥ .